سلسلة المواسم الدينية (1)

كتاب

بهجة السامعين والناظرين

بمولد سيّد الأولين والآخرين صلى الله عليه وآله وسلم

تأليف خاتمة الحفاظ والمحدثين محمد نجم الدين الغيطي

الملقب بنجم السنة المتوفى سنة 984هـ

يطبع لأول مرة

«مولدٌ نفيس،... من المواليد التي يتعين نشرُها بالطبع

لكونه سلك فيه مسـالك النقل والتخريــــــج».

(العلامة محمد عبد الحي الكتاني)

كتاب بهجة السامعين والناظرين

بمولد سيّد الأولين والآخرين ﷺ

الطبعة الأولى

1435هـ/ 2014م

الإيداع القانوني: 5851-2014

ردمك: ISBN 978-9931-561-01-9

المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية

1 نهج محمد عليلات-القبة-الجزائر العاصمة16006.

asr.algerie@live.fr الهاتف-فاكس: 25 29 28 021

سلسلة المواسم الدينية (1)

كتاب

بهجة السامعين والناظرين

بمولد سيّد الأولين والآخرين ﷺ

تأليف خاتمة الحفاظ والمحدثين محمد نجم الدين الغيطي

الملقّب بنجم السنّة المتوفى سنة 984 هـ

يطبع لأول مرة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أما بعد: فهذا كتابٌ تراثي نفيس، لجلالة موضوعه، وحسن تأليفه، ولكونه لم يطبع من قبل.

أما جلالة موضوعه فلأنه يدور حول مولد نبي الإسلام المصطفى الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يمكن للباحث -ولو حرص- بلوغ الإحاطة بكل مَن كَتَب في ذلك من الأئمة الأعلام، وما ذاك إلا كما قال تعالى ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشرح، آية:4][1].

وأما حسن تصنيفه، فلأن مؤلفه محمد المدعو نجم الدين الغيطي الشافعي الملقّب بنجم السنة المتوفى سنة984هـ، يعدّ من المحدثين الحفّاظ من أعيان المائة

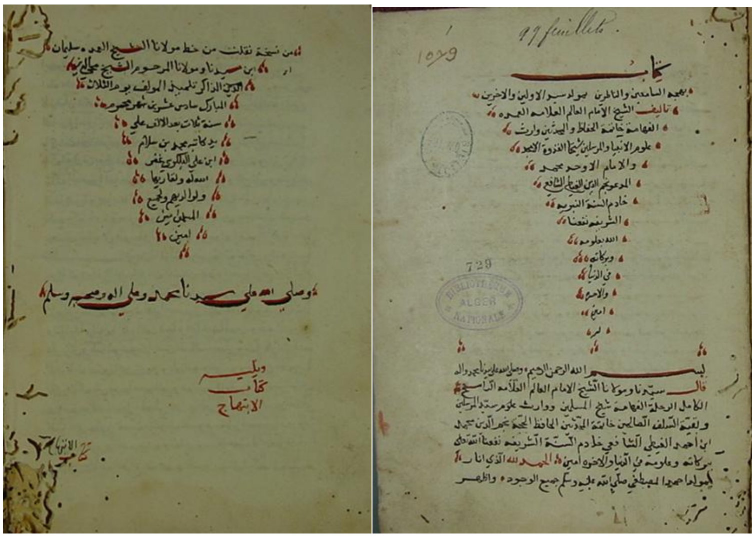
---

(1) انظر: "تجريد الكتب المؤلفة في المولد"، **رسالة المسجد**: السنة السابعة-العدد الثالث-ربيع الأول1430هـ-مارس2009م ، وقارن مع: **"التآليف الـمَوْلِدِيَة"**، للشيخ محمد عبد الحي الكتاني.

العاشرة[2]، وحقا وصدقا قد أفاد فيه وأجاد، وألّف وحقّق، ونقل ونقد، على عادة أهل الحفظ والمعرفة وكثرة الشيوخ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وأما كونه لم يطبع من قبل، فهذا في حدود علمنا وفيما يغلب على الظن، والأمر نسبي، فلم نعثر له –بعد بحثٍ– على طبعة سابقة، سوى ما حصلنا عليه من المخطوطات التي اعتمدناها في هذه النشرة، وحصيلتها ثلاث مخطوطات:

الأولى: نسخة جيّدة، محفوظة في خزانة المكتبة الوطنية الجزائرية-بالحامة تحت رقم: 729.



(2) له ترجمة نفيسة في "فهرس الفهارس" (2/ 888)، وسنسوقها قريبًا.

وتقع في 24ورقة، ضمن مجموع(1-24)، قياس14.5X20، وهي نسخة نسخت بتاريخ 26محرم عام1003هـ، وهي -كما جاء في نهاية المخطوط-منقولة من نسخةٍ نُقلت من خطّ تلميذ المؤلف.

وهي من جملة المخطوطات التي انتخبتها وصوّرتها بعثةُ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث-بدبي، في أفريل عام2001م.

وهذه النسخة هي التي اتخذناها أصلا. وقابلنا عليها بقية النسخ.

النسخة الثانية: نسخة جيدة محفوظة بالمكتبة الوطنية الباريسية تحت رقم:5316.

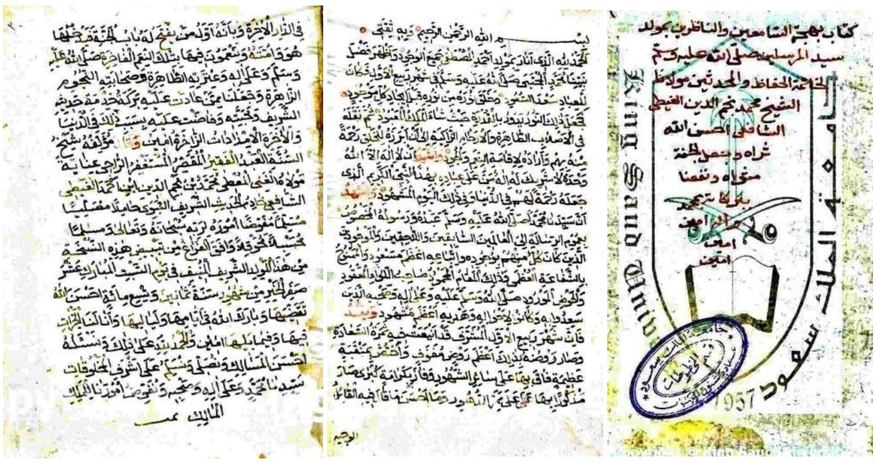
تقع في 29ورقة، ضمن مجموع نفيس (1-29). كتبت بخط نسخي جميل.

وهذه النسخة رمزنا لها بحرف (ب).



النسخة الثالثة: محفوظة بخزانة مخطوطات جامعة الملك سعود تحت رقم:6580، من30ورقة، وهي بعنوان: كتاب بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد المرسلين ﷺ.

وهذه النسخة رمزنا لها بحرف (س).



ولا بأس أن نشير هنا إلى نسخة **رابعة**: وهي نسخة محفوظة بخزانة مخطوطات جامعة الملك سعود تحت رقم:1807، بعنوان: **مولد النبي ﷺ**. وجاء في آخرها: هذا مولد النبي ﷺ للمرحوم الغي طي (هكذا) رحمه الله تعالى.

وبناء على هذا نسبها المفهرسون لمحمد بن أحمد الغيطي.

لكن! هذه المخطوطة (من16ورقة فقط)، لا تتفق لا في حجمها ولا في مضمونها مع كتابنا هذا الذي ننشره.

توثيق نسبة الكتاب إلى النجم الحافظ الغيطي

ذكره صاحب هدية العارفين(2/ ص253) باسم: بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين.

ولبيان اهتمام العلماء بهذا الكتاب، فقد شرحه الإمام النبتيني المؤقِّت(ت1061هـ)، بشرحٍ سماه:

إرشاد الحائرين لشرح بهجة السامعين والناظرين. وهو نفسه: شرح على مولد النجم الغيطي.

ذكرهما صاحب هدية العارفين(1/ 757) وسهوًا جعلهما كتابيْن.

ذكره محمد عبد الحي الكتاني في (حرف الغين) من "التآليف المولدية"(6/ 156)، قال:

«الغيطي، هو محدث الديار المصرية ومسندها، نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي الشافعي المصري المتوفى بها عام 981. له مولدٌ نفيس، أوله: الحمد لله الذي أنار بمولد أحمد المصطفى جميع الوجود..) أكمله عام980-وهو **في جزء صغير، وهو من المواليد التي يتعين نشرُها بالطبع لكونه سلك فيه مسالك النقل والتخريج.**

بالمكتبة الكتانية منه عدّة نسخ منها واحدة تم نسخها عام 1129.

وقد اعتنى الناسُ بمولد النجم الغيطي هذا واعتمدوه، فاختصره عالمُ مصر الشيخ حسن المَدَابِغي(ت1170هـ) وقد سبق ذكره في حرف الميم(3/ ص14)، وفي المكتبة الكتانية حاشية على مولد الغيطي هذا لبعض تلامذة الأجهوري والشبراملسي لم أعرف خطه، وفيها أيضا حاشية عليه للعلاّمة الأمير الكبير فيها فوائد».

وللسُّجَاعي أيضا (ت1197هـ) حاشية على مختصر مولد الغيطي.

وهذا يدّل على قيمة الكتاب من الناحية العلمية، وحصول فائدته للعامة والخاصة.

التعريف بالمصنِّف نقلا عن كتاب "فهرس الفهارس"

للعلاّمة عبد الحيّ الكتّاني رحمه الله

505 – الغيطي(3): هو الإمام حافظ الديار المصرية ومسندها نجم الدين محمد بن أحمد الغَيطي -بفتح الغين المعجمة- المصري الشافعي المتوفى سنة 982، كما رمز بذلك من قال: [المتقارب]

قضى حافظ العصر نجمُ الهدى	ونال الرضى من غفور رحيمْ
وقد ســـــاء كلَّ الورى فقدُه	وقد حلَّ في مصر فقدٌ عظيـم
ومن سعده جـــــــاء تاريخه	إمام الحديث مع أهل النعيـم

(انظر: فضائل "رمضان" لعلي الأجهوري، وحاشيتها للبرهان السقا) وما في "الدرة" من أنه مات سنة 968 غلط.

(3) ترجمة الغيطي في: شذرات الذهب (وفيات 984) 8: 406 ودرة الحجال رقم: 752 وخطط مبارك 8: 26 ومعجم سركيس: 1422 والزركلي 6: 234 وبروكلمان، التاريخ 2: 338 وتكملته 2: 467 والرسالة المستطرفة: 200. والغيطي نسبة إلى غيطة العدة بمصر لأنه كان يسكن بها (وفي الرسالة المستطرفة أن وفاته كانت سنة 981).

يروي عن القاضي زكرياء والشرف عبد الحق بن محمد السنباطي وكمال الدين بن محمد بن حمزة والكمال القادري والأمين ابن النجار والبدر المشهدي والشمس الدلجي والشمس التتائي وأبي الحسن الشاذلي المالكي والشهاب أحمد الفتوحي الحنبلي ومحيي الدين عبد القادر بن جماعة المقدسي وغيرهم من مشايخه، وجل هؤلاء يروي عن ابن حجر والعيني والسيوطي والسخاوي وغيرهم.

هذا ما لخصتُه من مَشيخته وهي في نحو العشر كراريس، وقفتُ عليها بمكتبة الوفائيين بمصر، عليها خط الحافظ مرتضى الزبيدي.

وفي "تاج العروس" أنها تتضمن سبعا وعشرين شيخًا.

قلتُ: وقد كنتُ ابتدأت نسخها فلم تتم.

وأفاد صاحبُنا الشيخ أحمد العطار في حاشيته على "الأمم" أن مشيخة النجم الغيطي هذه إجازة أرسلها إلى بعض وزراء الحضرة الفاسية.

قلتُ: ولم أجد هذا في أول النسخة التي وقعت بيدي منها، إذ فيها: « ..وبعد: فلما تفضل الله عليّ ووفّقني لطلب الحديث، والأخذ عن رواته ومسنديه في القديم والحديث، رأيتُ أن أقتفي سنن أهل الحديث قبلي، بجمع أسانيد الكتب والأجزاء التي وقعت لي، فأثبت في هذه الفهرسة ما رويته كلا أو بعضًا بالقراءة أو السماع، ولم أثبت من الرواية بالإجازة إلا ما يحتاج إليه لأجل اتصال السند وعدم الانقطاع، وقصدت بذلك الاندراج في زمرة المحدثين، وأن أنتظم في سلك رواة أحاديث الصادق الأمين، لأكون بسبب ذلك من الناجين ... إلخ"

افتتحها بذكر الحديث المسلسل بالأولية، ثم بالحديث المسلسل بسورة الصف .. إلخ.

وللنجم الغيطي: أربعون حديثًا في تارك الصلاة ومانع الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوصية بالجار.

والأجوبة، وهي كثيرة منها: فيمن تصدّى للطريق بغير علم، وجواب له في الأقطاب والأوتاد والمسلسلات.

وممن أخذ عن الغيطي من المغاربة الفاسيين بالإجازة مكاتبةً:

-أبو القاسم محمد بن إبراهيم الدكالي.

-وعبد الوهاب بن محمد الزقاق.

-ومحمد بن عبد الرحمن ابن جلال التلمساني.

-وأبو القاسم بن عبد الرحمن الحميدي.

-وأبو عبد الله محمد ابن القاسم الشهير بابن القاضي.

-ويحيى السراج.

-وأحمد بن محمد بن عيسى الماواسي.

-وأحمد بن علي المنجور.

-وعبد الواحد الحميدي.

-وأحمد الزموري.

-والقصار.

-وأحمد ادفال الدرعي، وغيرهم من الأعلام.

وممن أخذ عنه شفاها من أعلام فاس:

-الشهاب أحمد ابن القاضي وغيره.

وصف صاحبُ "المطمح" والشيخ عبد الله الشرقاوي في "شرح التجريد" المترجم: بـ "خاتمة الحفاظ والمحدثين بالديار المصرية".

وقال عنه الحافظ أبو الفيض الزبيدي في "مستخرجه على مسلسلات ابن عقيلة": "كان يوصف بالحفظ والمعرفة وكثرة الشيوخ".

أروي مشيختَه عن نصر الله الخطيب عن عبد الله التلي المعمَّر عن العارف النابلسي عن النجم الغزِّي عن الشيخ محمود بن محمد البيلوني عنه، مكاتبةً من مصر لحلب، وهذا أعلى ما يوجد الآن.

وأرويها أيضا عن السكري عن الكزبري عن عمر بن عقيل عن العجيمي عن الحافظ البابلي وعبد السلام بن إبراهيم اللقاني كلاهما عن سالم السنهوري عنه.

ح: وبأسانيدنا إلى عبد الباقي الحنبلي عن أحمد البقاعي عنه.

وبأسانيدنا إلى أبي سالم العياشي عن عبد الجواد الطريني عن يس الحمصي عن الغيطي.

ح: وبأسانيدنا إلى القصار والمنجور، كلاهما عن الغيطي مكاتبة. انتهى

أما بعد: فمشيا في قافلة نُصرة نبيّ الإسلام، في زمنٍ يتطاول فيه الكفرة الفجرة بالإساءة إلى جنابه الكريم، يطيب لنا –مشاركة منا وإسهاما– أن يكون هذا الكتاب طليـــعة سلسلة إصدارات عنوانها: **سلسلة المواسم الدينية**، تُعنى ببيان ما لكل موسمٍ من مواسم العام من الوظائف والشعائر الدينية.

رزقنا الله الإخلاص في طلب العلم النافع ونشره وتعميمه، ووفّقنا وسائر المسلمين في المشارق والمغارب للعمل الصالح.

المدير العام لمؤسسة "العصر"

أ.عبد الرحمن حمّادو

نص الكتاب

كتاب بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة الفهامة خاتمة الحفاظ والمحدثين وارث علوم الأنبياء والمرسلين شيخنا القدوة الأمجد والإمام الأوحد محمد المدعو نجم الدين الغيطي الشافعي خادم السنة النبوية الشريفة نفعنا الله بعلومه وبركاته في الدنيا والآخرة آمين آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

قال سيدُنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العلامة الراسخ الكامل الرُّحْلَة الفهامة شيخ المسلمين ووارث علوم سيِّد المرسلين وبقية السلف الصالحين خاتمة المحدثين الحافظ الحجّة نجم الدين محمد ابن أحمد الغيطي الشافعي خادم السنة الشريفة نفعنا الله تعالى ببركاته وعلومه في الدنيا والآخرة آمين:

الحمدُ لله الذي أنار[4] بمولد أحمد المصطفى ﷺ جميعَ الوجود، وأظهر شمسَ فضلِ نبيِّنا المجتبَى[5] ﷺ في شهر ربيع الأول، فكان للعباد سَعْد السُّعُود، وخلق نورَه من نوره قبل إيجاد كلِّ موجود، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الملكُ المعبود، ثم نقله من[6] الأصلاب الطاهرة والأرحام الزاكية إلى أن أبرزه إلى الخلق[7] رحمةً منه بهم، وإرادةً لإفاضة[8] النِعَمِ والجُود.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهٌ منّ على عباده بهذا النبيّ الكريم الذي جعله رحمةً لهم في الدنيا، وفي ذلك اليوم المشهود.

وأشهد أن سيِّدنا محمَّدًا ﷺ عبده ورسوله المخصوص بعموم الرسالة إلى العالمين، السابقين واللاّحقين والموجودين، الذين كان كل منهم بوجوده واتباعه أعظمَ مَسْعُود، والممنوح بالشفاعة العظمى، وذلك المقام المحمود، صاحب

(4) كذا في س، وفي ب : أرنا.

(5) في س: وأظهر فضل نبينا محمد المجتبى.

(6) في ب وس: في.

(7) في س: للخلق.

(8) في س: لإقامة.

اللواء المعقود، والحوض المورود[9]، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه الذين سَعِدُوا به وكانوا لأحواله وهديه أعظمَ شهود[10].

وبعد: فإن شهر ربيع الأول المشرَّف، قد أينعتْ فيه ثمرُ[11] السعادة وصار روضُه بذلك أعظمَ روض مغرَّف[12]، واختص بمنقبةٍ عظيمة فاق بها[13] سائر الشهور، وفاز بكرامةٍ كبرى صار مذكورا بها على ممرّ الدهور.

وما أحسن ما[14] قاله القائل الوجيه: [الوافر]

لهذا الشهر في الإسلام فضلٌ	ومنقبةٌ تفوق على الشهور
فمولـــــودٌ به واسم ومعنًى	وآياتٌ بَهَرْن لدى الظهور

(9) في ب: المورد.

(10) في س: مشهود.

(11) في ب: شجر. وفي س: ثمرة.

(12) في ب: معوف، وفي س: مغوف.

(13) في س: بها على.

(14) في ب: مما. وفي س: ما قال فيه القائل.

ربيعٌ في ربيعٍ في ربيـــــــعٍ		ونورٌ فوق نورٍ فــوق نورِ

وتلك المنقبة التي اخْتُصَّ بها هي الظهور فيه لسيد المرسلين، والولادة فيه لأفضل الخلائق أجمعين، الذي كان وجوده وظهوره رحمةً للعالمين، وقامعًا للمعتدين، مَن اصطفاه اللهُ تعالى واختصه بالفضائل والكرامات، وأيّده بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات، مَن لا يمكن حصر صفاته الظاهرة والباطنة وشمائله، وتَعجزُ القُوَى(15) عن استيعاب ذلك بدلائله. [الكامل]

الأمر أعظم من مقالة قائـل		إن رقّق البلغاءُ أو إن فخّموا

ماذا يقول المادحون ومدحه		حقًّا به نَطَق الكتابُ المحكم

وقد حُكي أن العارف الكبير وسراج أهل المحبة الشهير، من قمع ماله من معارض(16) أبا حفص عمر بن الفارض -دامت إمداداته وتوالت بركاته-؛

(15) في س: يعجز القويُّ.

(16) في ب وس: من له يعارض.

رؤي[17] في المنام فقيل له لم لا مدحت النبي ﷺ؟ فأنشد ﵁ ونفع به[18] قائلا:

[الطويل]

أرى كلَّ مدحٍ[19] في النبي مقصِّرا وإن بـالغ المُثني عليه وأكثرا

إذا الله أثنى بالذي هو أهلـــه عليه فما مقدارُ ما تمدح الورا

فوجوده الظهوري ﷺ وإن كان في شهر ربيع الأول الشريف، فخَلقه ﷺ كان مقدَّمًا على خلق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذوي القَدْر المنيف.

فقد أخرج البخاري في **"تاريخه الكبير"** من مراسيل الحسن قال قال النبي[20] ﷺ: كنتُ أول الأنبياء في الخَلق وآخرَهم في البعث ثم قرأ ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ۝٧﴾ [الأحزاب، آية:7].

---

(17) في ب: ورؤي.

(18) ونفع به، سقطت من س.

(19) في الأصل: مادح.

(20) في ب وس: قال رسول الله.

وأخرج مسلمٌ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل كتب مقاديرَ الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشُه على الماء.

ومن جملة ما كَتَب في الذكر -وهو أمُّ الكتاب- أن محمدًّا خاتمُ النبيين.

وأخرج الإمامُ أحمد والحاكم وصحّحه وغيرُهما عن العرباض ابن سارية عن النبي ﷺ قال إني عند[21] الله لخاتم النبيين وإن آدم لَمُنْجَدِلٌ في طينته.

وقوله لمنجدل، يعني طريحًا ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه.

وفي روايةٍ لأحمد وغيره وصحّحها الحاكم وغيرُه[22] أيضا عن ميسرة الفجر[23] قال: قلتُ: يا رسول الله متى كنتَ نبيا؟

قال: وآدم بين الروح والجسد.

وفي رواية: متى كُتِبْتَ نبيا؟ من الكتابة.

---

(21) في ب: عبد الله.

(22) عبارة (وغيره) ليست في س.

(23) في ب: الضبي.

وفي رواية: متى وَجبتْ لك النبوة؟

وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ: كنتُ نبيا وآدم بين الماء والطين؛

فقال بعضُ الحفّاظ: لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى.

وكذا ما اشتهر بلفظ: كتبتُ نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين.

قال بعض الحفاظ فيه: وفيما قبله أيضا أنهما باطلان.

ومعنى وجوب النبوة وكتابتها كما في الروايتين المتقدمتين، ثبوت[24] النبوة وظهورها في الخارج، نحو ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة، آية:183] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴿٢١﴾﴾[المجادلة، آية:21].

والمراد ظهور ذلك للملائكة وروحه ﷺ في عالم الأرواح إعلامًا بعظيم شرفه وتميّزه على بقية الأنبياء.

وخصّ الإظهار بحالة[25] كون آدم بين الروح والجسد لأنه أول دخوله[26] الأرواح إلى عالم الأجسام، والتمايز حينئذ أتم[27] وأظهر، فاختص ﷺ بزيادة إظهار شرفه حينئذ ليتميز على غيره تمييزا أعظم.

---

(24) في ب: بثبوت.

فإن قيل: إن النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودا، وإنما يكون غالبا بعد أربعين سنةً فكيف يوصف به قبل وجوده وإرساله؟

قلنا: أجاب عنه الإمام الغزالي بأن المراد بالخلق هنا التقدير لا الإيجاد، فإنه قبل أن تحمل به أمُّه لم يكن مخلوقا، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير، لاحقة في الوجود. فقوله[28] كنتُ نبيا أي في التقدير قبل تمام خلق[29] آدم لأنه لم ينشئ خلقَ آدم إلا لينتزع من ذريته محمدًا ﷺ.

وذهب السبكيُ إلى ما هو أبين، وهو أنه قد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد، فالإشارة بقوله (كنتُ نبيا) إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقة من حقائقه ولا يعلمها إلا الله تعالى ومَن خصه بالاطلاع عليها.

---

(25) في ب: حالة.

(26) في ب: دخول.

(27) في ب: أنم.

(28) في ب: لقوله.

(29) في ب وس: خلقة.

ثم إنه تعالى يؤتي كلَّ حقيقة منها ما شاء أيَّ وقتٍ شاء، فحقيقته ﷺ قد تكون من حين آدم آتاها[30] ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له وأفاضه عليها[31] من ذلك الوقت فصار نبيًّا، وكتب اسمه على العرش ليَعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت، وإن تأخر جسدُه الشريف المتصف بها، فحينئذ إتيانه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجّل لا تأخر[32] فيه، وإنما المتأخر تكوّنه وتنقّله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظَهَر ﷺ.

وأما من فسّره بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبيا، فلم يصل لهذا المعنى، لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء والوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له في ذلك الوقت، ولو كان المراد بذلك مجرّد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبيّ وآدم بين الروح والجسد، لأن جميع الأنبياء

(30) في س: حين خلق آدم آتاه الله ذلك الوصف.

(31) في ب: منها.

(32) في س: تأخير.

يعلم الله تعالى نبوتهم[33] في ذلك الوقت وقبله، فلا بد من خصوصية للنبي ﷺ لأجلها أَخْبر بهذا الخبر إعلاما لأمته ليعرفوا قدرَه عند الله تعالى.

وأخرج ابنُ سعدٍ[34] عن الشعبي قال رجلٌ: يا رسول الله متى استُنبِئْتَ؟

قال: وآدم بين الروح والجسد حين[35] أخذ منّي الميثاق.

فهذا يدل على أن آدم لما صوّر طينا استخرج منه ﷺ ونُبِئ و[36] أخذ منه الميثاق ثم أعيد إلى ظهره ليخرج أوان وجوده فهو أولهم خلقا وآخرهم بعثا.

وما تقرر من أنه استخرج ونُبِئ قبل نفخ الروح في آدم وكان[37]آدم حينئذ مواتا لا روح فيه وهو ﷺ كان حيًّا حين استخرج ونبئ وأخذ منه ميثاقه[38] لا ينافيه ما دل عليه أكثر الأحاديث من أن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه،

---

(33) في ب: بنبوتهم.

(34) في ب: سعيد.

(35) في ب: حتى.

(36) في س: ثم.

(37) في ب وس: فكان.

(38) في ب: الميثاق.

لاختصاصه ﷺ من بين ذرية آدم باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه[39] لأنه ﷺ هو المقصود من خلق النوع الإنساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده.

والأحاديث صريحة في ذلك كما قاله بعضهم.

وفي تفسير الحافظ عماد الدين بن كثير[40] عن علي وابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[آل عمران الآية:81]: إن الله لم يبعث نبيا من آدم فمن بعده، إلا أَخَذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بُعث وهو حي ليؤمنن به ولينصُرُنَّه، ويأخذ العهد بذلك على قومه.

وأخذ السبكي من الآية أنه ﷺ نبيّ الأنبياء، وأنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة.

---

(39) فيه: ساقطة من ب.

(40) في ب: كبير.

ويكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، فلو اتفق مجيئُه في زمن آدم أو نوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق ويكون قوله (وبعثتُ إلى الناس كافة) لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول مَن قبلهم أيضا.

وبه يتبين[41] معنى قوله (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) تظهر بذلك حكمة كون[42] الأنبياء تحت لوائه في الآخرة، وصلاته بهم ليلة الإسراء في الدنيا.

وروى عبدُ الرزاق بسنده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي ﷺ قال له لما سأله عن أول شيء خلقه الله: يا جابر إنّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم..الحديث بطوله.

واختلفوا في أول المخلوقات بعد النور المحمدي، فقيل العرش لما صحّ من قوله ﷺ: قدّر اللهُ مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.

(41) في س: تبين.

(42) في ب: وظهر بذلك حكمة كونه. في س: حكمة كون جميع الأنبياء.

وصحّ: أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب.

قال: ربِّ وما أكتب؟

قال: مقادير كل شيء.

لكن صح في حديثٍ مرفوع أن الماء خُلِق قبل العرش.

فعُلم أن أول الأشياء المخلوقة على الإطلاق النور المحمدي، ثم الماء ثم العرش ثم القلم لما علمتَ من حديث (أوّل ما خلق الله تعالى القلم) مع الحديث الذي قبله الدّالين[43] على أن التقدير وقع بعد العرش والتقدير وقع عند خلق القلم فذكر الأولية فيه بالنسبة لما[44] بعده.

وقيل الأولية بالإضافة إلى جنسه، أي أول ما خلق الله تعالى من الأنوار نوري[45] وكذا في باقيها، ثم لا زال نورُه ﷺ ينتقل[46] من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات.

---

(43) في ب: الأولين.

(44) في س: إلى ما.

(45) في ب: بعدي.

(46) في ب: يتنقل.

فقد ورد (لما خلق الله تعالى آدم جعل النور في ظهره وكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره، ولما توفي آدم ﷺ كان شيث عليه الصلاة والسلام وصيُّه ثم أوصى شيث ولدَه بوصية آدم له أن لا يضع هذا النور إلا في المطهّرات من النساء).

ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها تنتقل[47] من قرنٍ إلى قرن، إلى أن أدّى الله تعالى النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله.

ولله درّ العارف سيدي علي الوَفَوي[48] حيث أشار إلى بعض هذه المعارف في أثناء بعض قصائده قائلا: [الكامل]

لو أبصر الشيطانُ طلعة نوره	في وجه آدم كان أوّل من سجدْ
أو لو رأى النّمرُود نور جماله	عَبَد الجليلَ مع الخليل ولا عنَد
لكن جمال الله جلّ فلا يُـرى	إلا بتخصيـصٍ من الله الصَمَد

(47) تتنقل.

(48) في ب: الوفاي، وفي س: الوفائي.

وقد طهّر اللهُ هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية، كما ورد عنه ﷺ في الأحاديث المَرْضية.

وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الأذفر، ونور رسول الله ﷺ يضيء في غرّته.

وكانت قريشٌ إذا أصابها قحطٌ تأخذ بيد عبد المطلب وتَخْرج به إلى ثبير ويَسْتسقون به فيغيثهم الله تعالى ويسقيهم غيثا عظيما ببركة محمد ﷺ.

ولما قدم أبرهة ملك اليمن يَهدم[49] بيت الله الحرام وبلغ عبد المطلب ذلك، قال: يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت، لأن لهذا البيت ربًّا يحميه ويحفظُه.

فلما توجّه جيشُ أبرهةُ ومعهم[50] الفيل لهدم الكعبة بَرَك الفيلُ، فضربوه في رأسه ضربا شديدا ليقوم، فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن، فقام ثم أرسل [الله تعالى][51] عليهم طيرا أبابيل من البحر، مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار: حجر في منقاره، وحجران في رجليْه، كأمثال العدس لا يصيب أحدا منهم إلا أهلكه، فرجعوا

(49) في س: لهدم.

(50) في س: ومعه.

(51) زيادة من س.

هاربين يتساقطون بكل طريق، وأصيب أبرهة في جسده فتساقطت أنامُله أُنْملة أنملة، وسال منه الصديد والقيح والدم، وما مات[52] حتى انصدع قلبه.

وإلى هذه القصة أشار ﷻ في كتابه بقوله لنبيه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ السورة إلى آخرها.

وإنما قال (ألم تر) مع أن القصة كانت قبل المبعث بزمان طويل، لأن المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر، وهو إشارة إلى أن الخبر به متواتر، فكأن العلم الضروري الحاصل به مساوٍ في القوة للرؤية.

وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد ﷺ، وتأسيسًا لنبوته وإرهاصًا[53] لها وإعزازًا لقومه بما ظهر لهم من الاعتناء بحماية الله تعالى لهم، ودفعه عنهم مكر أبرهة الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة، وحيث كانت إرهاصا فلا يضر تقدمها على زمان البعثة بخلاف المعجزة.

---

(52) في ب: ومات.

(53) الإرهاص: الإصرَار والإرْصاد، وَأَصْلُهُ مِنَ الرَّهْص وَهُوَ تأسيسُ البُنْيان. كما في "النهاية" لابن الأثير مادة (رَهَصَ).

لكن قال الإمام الرازي: ومذهبُنا أنه يجوز تقديم المعجزة على زمان البعثة تأسيسا، [قال: ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله عليه الصلاة والسلام يعني قبل البعثة](54).

وخالفه العلاّمة السيد في **"شرح المواقف"** تبعًا لغيره، فاشترط في المعجزة أن لا تتقدم على الدعوى بل تكون مقارنة لها كما حقق في محلِّه.

فإن قيل إن الحجّاج خرّب الكعبة ولم يَحدث له شيء من ذلك، فالجواب أن ذلك وقع إرهاصًا لأمر نبوة نبينا محمد ﷺ والإرهاص إنما يُحتاج إليه قبل قدومه، فلما ظهر ﷺ وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية لم يحتج إلى شيء من ذلك بعد.

وقد يجاب عن ذلك بأن أبرهة قصد التخريب بالكلية وعدم عودها، فلذلك عُجل(55) بالعقوبة.

والحجاج إنما قصد بالتخريب إذهاب صورة بناء ابن الزبير وإعادتها على حالتها الأولى، فلذلك لم يحدث له شيء من ذلك.

---

(54) ما بين [ ] ساقط من س.

(55) في س: عوجل.

ولما رجع أبرهة خائبا وفرّج اللهُ عن عبد المطلب رأى مناما عظيما، فقال له من قصّه عليه: إن صدقتْ رؤياك ليخرجن [من ظهرك][56] من يؤمن به أهلُ السموات والأرض، وليكونن في الناس عَلَمًا مُبينا.

فتزوج وحملتْ زوجتُه في ذلك الوقت بعبد الله الذَّبيح، وقصته في الذبح مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة[57]، وحاصلها أن عبد المطلب لما أراد حفر زمزم لم يكن له إلا ولد واحد يُعينه، وليس له سواه، فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم [لله][58] قربانا؛ فلما تكامل بَنوه عشرة وقرّ عينه [بهم][59] قيل له في المنام: أوفِ بنذرك.

فلما أراد ذلك وضرب القِدَاح خرجت على عبد الله -وكان أحبّ ولده إليه- فلما قام ليذبحه منعته سادة قريش ودلّوه على كاهنةٍ لعلّ أن تأمره بما فيه فرج له، فأمرته بأن[60] يقرب عشرة من الإبل وولده ويضرب عليها القداح فإن خرجت

---

(56) ما بين [ ] ساقط من س.

(57) في س: مشهورة مخرجة عن الروايات مسطورة.

(58) ما بين [ ] ليست في س.

(59) ما بين [ ] ليست في س.

(60) في ب: أن.

على الولد فيزيد في الإبل ويضرب، فإذا خرجت عليها فانحرها[61] ففعل ذلك فخرجت على الولد فلم يزل يزيد الإبل عشرة عشرة حتى بلغت الإبل مائةً، وخرجت القداح عليها فنحرت وتركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا طائر ولا سبع.

وروى الحاكم أن أعرابيا قال للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحيْن؛ فتبسّم ولم ينكر عليه.

ويعني بالذبيحيْن عبد الله، وإسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

ولما انصرف عبد الله مع أبيه عبد المطلب من نحر الإبل، مرّ على امرأة من بني أسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قُتَيْلَة[62] -بضم القاف وفتح التاء المثناة الفوقية- ويقال رَقِيقَة[63] بنت نوفل، فقالت له حين نظرت إلى وجهه -وكان أحسن رجل رئي في قريش-: لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقَعْ عليَّ الآن.

لِمَا رأت في وجهه من نور النبوة ورَجَتْ أن تحمل بهذا النبي الكريم ﷺ فقيل أنه أجابها بقوله: [الرجز]

---

(61) في ب وس: فانحروها.

(62) في ب: قتلة.

(63) في ب: رقية.

أما الحـــرام فالممات دونه وَالْحِلُّ لَا حِـــلَّ فَأَسْتَبِينهْ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهْ يحمي الكريم عرضه ودينَه

ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به إلى وهب بن عبد مناف ابن زهرة -وهو يومئذ سيّد بني زهرة [نسبا وشرفا](64)- فزوجه ابنته آمنة -وهي يومئذ أفضل امرأةٍ من قريش نسبا وموضعا-، فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه وقع(65) عليها فحملت بالنبي ﷺ يوم الاثنين من شهر رجب(66)، وقيل أيام منى في شِعَب أبي طالب عند الجمرة الوسطى.

فالقول منطبق على ميلاده في ربيع الأول.

وأما الثاني وهو كونه أيام منًى، فموافق لمن يذهب إلى(67) أن ميلاده في شهر رمضان.

قال الحاكم أبو أحمد: وكان سنّ عبد الله إذ ذاك ثلاثين سنة.

---

(64) ما بين [ ] ساقط من س.

(65) في س: فوقع.

(66) رجب: ساقطة من ب.

(67) في س: ذهب أن.

ولما حملت آمنة برسول الله ﷺ ظهر لحمله عجائب ووُجد لإيجاده غرائب.

وقد أكثر الناس من الأخبار والآثار [فيما يتعلق بحمله ومولده ورضاعه وغيرها ولم يصحّ في ذلك إلا أخبار][68] قليلة.

وكانت آمنة تقول: ما شعرتُ أني حملت به، ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء، إلا أني [قد][69] أنكرتُ رفع حيضتي، وربما كانت تُرفع عني وتعود.

لكن روي عن شداد بن أوس أن رجلا من بني عامر سأل رسول الله ﷺ: ما حقيقة أمرك؟

قال: بدوّ شأني أني دعوة إبراهيم، وبشّر بي أخي عيسى، وأني كنتُ بكرَ أمي، وأنها حملت بي كأثقل ما تحمل النساء، وجعلت تشتكي إلى صواحباتها[70] ثقل[71] ما تجد.. الحديث.

ففيه أن أمّه عليه الصلاة والسلام وجدت الثقل في حمله.

وفي سائر الأحاديث أنها لم تجد ثقلا.

---

(68) ما بين [ ] ساقط من ب.

(69) ما بين [ ] ليست في س.

(70) في ب: أحبائها.

(71) في س: أثقل.

وجمع الحافظُ أبو نعيم بينهما بأن الثقل به كان في ابتداء علوقها به[72]، والخفة عند استمرار الحمل به فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف.

وروى الطبراني أنه ﷺ لما وقع إلى[73] الأرض وقع مقبوضة أصابع يده[74] مشيرا بالسبّابة كالمسبِّح بها.

وفي رواية عند ابن سعد: لما وُلد رسول الله ﷺ فوقع على الأرض وقع على يديه رافعًا رأسه إلى السماء، وقبض قبضة من التراب بيده، فبلّغ ذلك رجلٌ لأبي لهبٍ فقال لصاحبٍ له: انجه لئن صدق الفَأْلُ[75] ليغلبن هذا المولود أهل الأرض. وفي رواية: لما ولد ﷺ وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره[76] إلى السماء.

---

(72) في س: الثقل كان عند علوقها به.

(73) في س: على.

(74) في ب وس: يديه.

(75) في ب: انجه لئن صدق القائل. وفي س: انجد. والصواب ما في الأصل.

(76) في ب وس: بصره.

ووقع في أثناء حديث [رواه][77] ابن حبان في صحيحه أن أمه آمنة قالت: ثم وضعته فما وقع كما[78] يقع الصبيان، وقع واضعا يديه بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء.

وفي رفع بصره ﷺ في تلك الحال[79] كما قاله العلامة الشمس الجُوجَري رحمه الله إشارة وإيماء إلى رفع شأنه وعلو قدره وأنه يسود[80] الخلق أجمعين.

وكان هذا من آياته، وأنّه أول فعلٍ وُجد منه في أول ولادته.

وفيه إشارة وإيماء لمن له تأمّل إلى أن جميع ما يقع له من حين يولد إلى حين يُقبض ﷺ مما يدل عليه ذلك الفعل، فإنه ﷺ لا يزال متزايد الرِّفعة في كل وقت وحين [عالي الشأن][81] على المخلوقات أجمعين في الدنيا والآخرة.

قال ﷺ: أنا سيّد ولد آدم ولا فخر.

---

(77) ما بين [ ] ليس في س.

(78) في ب: فاوقع كما.

(79) في س: الحالة.

(80) في س: يسوق.

(81) ما بين [ ]: ساقط من ب.

وفي رَفْعِه رأسَه إلى السماء إشارة وإيماء إلى كل سُؤددٍ وأنه لا يتوجه قصدُه إلا إلى جهة العلو دون غيرها مما لا يناسب قصدَه.

وروى ابنُ الجوزي في **"الوفا"** عن أبي الحسين[82] ابن البراء مرسلا قال قالت آمنة: وجدته ﷺ جاثيا[83] على ركبتيه ينظر إلى السماء، ثم قبض قبضة[84] من الأرض وأهوى ساجدا.

قال بعض أهل الإشارات: لما ولد عيسى عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة مريم، آية:30] فأخبر عن نفسه بالعبودية والرسالة.

ونبيُّنا محمد ﷺ وقع ساجدا، وخرج معه نورٌ أضاء له ما بين المشرق والمغرب، وقبض قبضة من تراب ورفع بصره[85] إلى السماء، فكانت عبودية عيسى ﷺ

---

(82) في س: الحصين.

(83) في ب: حابيا.

(84) في ب: قميصه.

(85) في س: رأسه.

بالمقال وعبودية محمد ﷺ بالفِعَال، ورسالة عيسى بالإخبار ورسالة محمد ﷺ بالأنوار.

وفي سجوده ﷺ عند وضعه إشارة إلى مبدأ أمره على القُرب، قال الله تعالى ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق، آية:19].

وقال ﷺ: أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

فحال عيسى عليه الصلاة والسلام يشير إلى مقام العبودية، وحال محمد ﷺ يشير إلى مقام القُرب من الحضرة الإلهية. كما قيل في هذا المعنى المثيل: [الطويل]

لك القرب من مولاك يا أشرف الورى وأنت لكل المرسلين ختـــام(86)

وأنت لنا يوم القيامة شـــــــافع وأنت لكل الأنبيـــــاء إمام(87)

[عليك من الله الكريــــــــم تحية مباركة مقبــــــولة وسلام](88)

(86) في س: إمام.

(87) في س: ختام.

(88) البيت ساقط من ب.

وأخرج أبو نعيم في "**الدلائل**" من حديث عبد الرحمن بن عوف[89] عن أمِّه الشفا بنت عمرو بن عوف قالت: لما وَلدت آمنة بنت وهب محمدا ﷺ وقع على يديه فاستهل فسمعتُ قائلا يقول: رحمك الله [ورحمك ربك][90].

قالت الشفا: فأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرتُ إلى بعض قصور الروم، [قالت:] ثم ألبستُه وأضجعتُه فلم أنشب أن غشيتني ظُلمة ورُعب وقُشعريرة عن يميني، فسمعت قائلا يقول: أين ذهبت به؟ قال: إلى المغرب، وأسفر ذلك عني، ثم عاودني الرُّعب والظلمة والقُشعريرة عن يساري فسمعتُ قائلا يقول: أين ذهبت به؟ قال: إلى المشرق، [قالت:] فلم يزل الحديث مني على بال[91] حتى ابتعثه الله[92]، فكنتُ في أول الناس إسلاما.

فإن قيل: هل عطس النبي ﷺ بعدما وُلد حتى قال له القائل -كما في الحديث المتقدم-: رحمك الله ورحمك ربك، وشمّته بذلك، ويكون المراد بقول الشفا بنت عمرو في الحديث (فاستهل) أي عطس. ومن هو القائل له ذلك الملك أو غيره؟

---

(89) في هامش س: خ سمرة.

(90) ما بين [ ] ساقط من س.

(91) في ب: مبني على بالي.

(92) ما بين [ ] في هذه القصة زيادة من س، وفي س: حتى أن بعثه الله.

فالجواب أن الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى قال في **"فتاويه الحديثية"**: لم أقف في شيء من الأحاديث مصرَّحًا على أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة أحاديث المولد من مظانها.

ثم عدّد جملةً من كتب الحديث، ثم قال:

وإنما الحديث الذي روته أم عبد الرحمن ابن عوف -يعني المذكور[93] آنفا- فيه لفظ يشبه التشميت، لكن لم يصرح فيه بالعِطاس.

والمعروف في اللغة أن الاستهلال صِيَاح المولود أوّل ما يولد، فإن أريد به هنا العطاس فمحتمل، وحَمْلُ القائل على الملك ظاهر انتهى.

وقال العلاّمة الشمس[94] الجوجري رحمه الله في **"شرح همزية البُوصَيري"**: الاستهلال وإن كان صياح المولود أول ما يولد، إلا أن حمله على العطاس هنا قريب كحمل القائل على الملك انتهى.

[و] قال الحافظ ابن حجر في **"شرح البخاري"**: في سير الواقدي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكلم في أوائل[95] ما يولد، وذكر ابن سبع في الخصائص أن مهده صلى الله عليه وآله وسلم كان

(93) في س: المذكورة.

(94) في س: شمس الدين.

يتحرك بتحريك[96] الملائكة، وأن أول كلام تكلم به أن قال: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا[97].

وروي من جملة حديث صححه ابنُ حبان والحاكم أن أمّ رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورًا أضاء له قصور[98] الشام.

[ورَوى ابن سعد أن أم رسول الله ﷺ قالت لما ولدته: خرج من فرجي نورٌ أضاء له قصور الشام][99] فولدته نظيفا ما به من قذر[100].

وفي رواية في غير هذا الحديث أنها رأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى من أرض الشام.

---

(95) في س: أول ما ولد.

(96) في س: بتحرك.

(97) الخصائص الكبرى للسيوطي(1/ 91)، ناقلا عن ابن حجر في فتح الباري(6/ 480).

(98) في ب: صور.

(99) ما بين [ ] ساقط من ب.

(100) في س: ما به قذر.

ويمكن أن يجمع بين اختلاف الروايات في خروج النور[101] حين الحمل أوحين الوضع، بأنه لا مانع من وقوعه في الوقتين، وإن كانت الرواية بحين الوضع أولى لاتصالها وصحَّتها.

وقد جمع الحـــافظُ الجلال السيوطي بين الروايتين بأن قوله (حين حملت) هي رؤيا نوم وقعت في الحمل، وأما[102] ليلة الولادة فرأت ذلك رؤيةَ عين، كما روى ابنُ إسحاق: كانت آمنة تُحدّث أنها أتيت حين حملت، فقيل لها: إنك حملتِ بسيد هذه الأمة، وآية [ذلك][103] أن يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام.

فإذا وضع[104] فسميه محمدا انتهى.

فلما وضعته خرج معه ذلك النور الذي أضاء له ما ذكر.

وإلى هذا النور أشار العباس ابن عبد المطلب في شعره حيث قال: [المنسرح]

---

(101) في س: النورين حين الحمل وحين الوضع.

(102) في ب: وإنما هي.

(103) ما بين [ ] ساقط من ب.

(104) في س: وضعتيه.

وأنت لما ولدتَ أشرقت الـــــــــ أرض وأضاءت بنورك[105] الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النــور وسبـــــــــل الرشاد تخترق[106]

قال في اللطائف: وخروج ذلك النور عند وضعه، إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهلُ الأرض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٦﴾[المائدة، آية:15، 16].

وخصّت الشام بذلك لأنها خيرة الله تعالى من أرضه كما في حديثٍ صحيح، فهي أفضل الأرض بعد الحرمين، وأول إقليم ظهر فيه مُلْكه ﷺ.

وذكر كعب أن في الكتب السالفة: محمّدٌ رسولُ الله مولده مكة ومهاجره يثرب[107] وملكه بالشام.

(105) في س: من نورك.

(106) في ب: عرق.

(107) في س: بيثرب.

فمن مكة بدت[108] نبوةُ نبينا عليه الصلاة والسلام، وإلى الشام انتهى ملكُه يعني أوّلا، ولهذا أسري به ﷺ إلى الشام، وبها ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وهي أرض المحشر والمنشر.

وفي تخصيص بُصرى من أرض الشام -كما في بعض الروايات- لطيفة، وهو أن النبي ﷺ وصل بنفسه الكريمة إلى أرض بُصرى من الشام مرّتين، ولم يتجاوز ذلك، فكان إشارة إلى ذلك. **قاله ابن الجوزي**.

وقال غيرُه: في تخصيصها لأنها أول موضع من بلاد الشام [دخلها ذلك النور المحمّدي ولذلك كانت أول ما افتتح[109] من بلاد الشام][110].

وأما ما ورد في رواية ابن سعد عن ابن القبطية في مولد النبي ﷺ قال:

قالت آمنة[111]: رأيتُ كأن شهابا خرج مني أضاءت له الأرض انتهى.

---

(108) في س: بدأت.

(109) في س: أول ما فتح به.

(110) ما بين [ ] ساقط من ب.

(111) في س: أمه.

فالتعبيرُ بالشهاب إما أنه مراد به[112] النور أو للإشارة إلى أنه شهاب على أهل الكفر يحرقهم ويمحوهم، ولأجل أنه زادت بمولده حراسةُ السماء بالشُهُب، وقطع رصد الشياطين، ومنعهم من[113] استراق السمع.

ومن عجائب ولادته أيضا، ما روي من ارتجاج إيوان كسرى وانشقاقه، حتى [سمع][114] صوته وسقطت منه أربعة عشر شُرافة.

وأخبر من رآه أن الشق طولا في سقفه قدر ما يثبُه[115] ويقفزه الشخص [القوي][116]. وهو باق إلى اليوم آية من آيات الله تعالى.

وفي سقوط الأربعة عشر شرافة [إشارة] إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات[117] بعدد الشرفات. وقد ملك منهم في أربع سنين عشرة كما ذكره ابن سعد[118] وملك الباقون إلى خلافة عثمان ﷺ كما زاده ابنُ سيد الناس[119].

---

(112) في ب: فالتعبير بالشهاب أنه مرادية النور.

(113) في س: رصدة الشياطين عن استراق السمع.

(114) ما بين [ ] ليست في س.

(115) في ب: يأتيه.

(116) ما بين [ ] ليست في س.

وخمود نار فارس التي كانوا يعبدونها ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، بل كانت توقد وتضرم ليلا ونهارا، فخمدت تلك الليلة ولم يقدروا على إيقادها.

وتلك آية باهرة وعلامة على نبوته ظاهرة.

وغاضت بُحيرة ساوة وكانت بحيرة عظيمة في مملكة عراق العجم [بين همدان وقُم][120]، تركب فيها السفن ويُسافر بها إلى ما حولها، وكانت أكثر من ستة فراسخ، فأصبحت ليلة مولده الشريف ناشفة يابسة.

ومن ذلك أيضا ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب وقطع رصد[121] الشياطين ومنعهم من استراق السمع.

---

(117) في س: ومملكات.

(118) في ب: ابن ظفر، وفي س: ابن مظفر.

(119) عيون الأثر (1/ 36).

(120) ما بين [ ] ساقط من س.

(121) في س: رصدة.

وولد ﷺ [معذورا أي][122] مختونا، مسرورا أي مقطوع[123] السرّة، كما روي عند[124] ابن عساكر[125] عن أنس أن النبي ﷺ قال: من كرامتي على ربي أن[126] ولدتُ مختونا ولم ير أحدٌ سوءتي.

رواه الطبراني وغيرُه من طرقٍ، وصحّحه الضياء في **"المختارة"**.

وأما قول الحاكم: تواترت الأخبار أنه ﷺ ولد مختونا، فقد تعقَّبه الذهبي بأنه لا يعلم صحة ذلك، فكيف يكون متواترا؟

لكن أجيب عنه باحتمال أن يكون أراد بتواتر الأخبار اشتهارها وكثرتها في السِيَر لا من طريق المسند[127] المصطلح عليه عند أئمة الحديث.

---

(122) ما بين [ ] ساقط من س.

(123) في س: مقطوعة.

(124) في س: عن ابن عساكر وعن أنس.

(125) تاريخ دمشق(3/ 414).

(126) في س: أني.

(127) في س: السند.

وقد حكى[128] الحافظ الزين عبد الرحيم العراقي أن الكمال ابن العديم ضعّف أحاديث كونه وُلد مختونا، وقال: إنه لم يثبت في هذا شيء من ذلك، وأقرّه عليه.

وبه صرّح ابنُ القيم.

لكن رجّح الحافظُ القطب الخيضري كونه ولد مختونا، وقال: إن أدلته مع ضعفها أمثل من أدلة غيره [انتهى].

ويرجّح أيضا بأن لدليله المتقدم طريقا جيّدة صحّحها الحافظُ الضياء كما تقدم.

وقال الزركشي: إن تصحيح الضياء أعلى مزية من تصحيح الحاكم.

وقال ابن القيم: ليس ذلك من خصائصه ﷺ فإن كثيرا من الناس ولد مختونا، ومنهم جماعة من الأنبياء نحو اثنيْ عشر ولدوا كذلك، بل[129] ذكر بعضهم أنهم سبعة عشر.

وحكى الحافظ ابنُ حجر أن العرب تزعم أن الغلام إذا وُلدَ في القمر فُسخت قُلْفتُه أي اتسعت، فيصير كالمختون.

---

(128) في س: حكم الحافظ الزيني.

(129) في ب: قيل.

ومن هنا يعلم أن في التعبير بقولهم (ولد مختونا) [تجوّز] لأن الختان هو القطع، والمولود كذلك يوجد على هذه الهيئة من غير قطع، فيحمل على أنه ولد على هيئة المختون.

قال الحافظ قطب الدين الخيضري[130] رحمه الله تعالى: فإن قيل: إن فيه أي في ولادته مختونا بعض نقص[131] في حق من يوجد كذلك، فيقال: هذا في حقه ﷺ غاية الكمال، لأن القلفة ربما تمنع من تكميل النظافة والطهارة، وتمنع كمال لذّة الجماع، فأوجد الله تعالى عبده ورسوله ﷺ مختونا مسرورا مكمّلا سالما من النقائص والمعايب[132].

فإن قلتَ: إذا كان كذلك فلم شق صدرُه واستخرج منه العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان، ولو كان كما ذكر[133] لخلق سالما منها؟

(130) في س: الحضرمي.

(131) في ب: نقيض نقض.

(132) في ب: والعيوب.

(133) في س: كذلك.

قلنا: لا سواء، لأن الختان والإسرار من الأمور الظاهرة التي تحتاج إلى فعل[134] الآدمي، فخلقه اللهُ تعالى سليما منها لئلا يكون لأحدٍ منهم عليه منّةٌ في كمال الطهارة.

وأما إخراج العلقة التي هي حظ الشيطان فمحلها القلب، ولا اطلاع للآدمي[135] عليها، ولو خلق الله تعالى نبيه سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته، فأظهره الله لعباده على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز[136] لهم مكمل الظاهر انتهى.

وبعضُه مأخوذٌ من كلام الإمام التقي السبكي ﵀.

وقيل: لمْ يولد ﷺ مختونا بل ختنه جدُّه عبد المطلب يوم سابع ولادته، وصنع له مأدبة[137].

ذكره[138] ابن عبد البر في **"التمهيد"**.

---

(134) في س: لفعل.

(135) في س: لآدمي.

(136) في س: ظهر.

(137) في س: مائدة.

قال الحافظ أبو الفضل العراقي: وسنده غير صحيح.

وقيل: إن جبريل ختنه حين شقّ قلبه عند مرضعته حليمة. أخرجه الطبراني وغيره.

لكن قال الذهبي: هذا منكر.

واختلف[139] في عام ولادته، فالأكثرون على أنه عام الفيل، وحُكي الاتفاق عليه. والمشهور أنه بعده بخمسين يوما، وقيل بأربعين [يوما]، وقيل بعشر سنين[140]، وقيل غير ذلك.

واختلف أيضا في الشهر الذي ولد فيه، فالجمهور على أنه ولد في شهر ربيع الأول[141] كما قاله ابن كثير والحافظ ابن حجر وغيرهما.

ونقل بعضُهم فيه الإجماع، كما قاله السهيلي.

---

(138) في ب وس: حكاه.

(139) في ب: واختتن. وهو خطأ.

(140) في س: بعشرين.

(141) في ب: أول.

وعلى كونه في شهر ربيع الأول، فالصحيح أنه في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، كما جزم به ابن إسحاق في سيرته، وتبعه ابن سيد الناس وغيره.

ورواه ابن أبي شيبة في "المصنف" عن جابر وابن عباس ﭫ.

وقال ابن كثير: وهو المشهور عند الجمهور.

وبالغ بعضُهم فنقل فيه الإجماع ونظر فيه.

ولعله أراد الإجماع الفعلي(142) لأن السلف والخلف مطبقون على عمل المولد في اليوم المذكور وليلته.

وعلى تسمية ذلك اليوم يوم المولد في سائر الأعصار والأمصار حتى في حرم مكة التي هي محل مولد المختار.

وقال الإمام المحدث أبو القاسم العزفي(143) في **"مولده"**: والصحيح الذي عليه السلف وهو الذي يقوله من يعتمد عليه من الخلف أنه ﷺ ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. فعلى ذلك يعتمد وعليه المعوّل انتهى.

---

(142) في س: العقلي.

(143) في ب: العراقي.

وقيل في ثانيه، وقيل في ثامنه كما حكي عن[144] ابن حزم، ورجَّحه ابن دحية.

ونقل ابن عبد البر عن أصحاب مالك أنهم رجحوه[145].

وقال الحافظ ابن حجر أنه مقتضى أكثر الأخبار.

وقيل في عاشره، وحكاه الدمياطي عن جعفر الصادق وصححه.

وقيل لسبع عشرة منه.

وقيل لثماني عشرة.

وقيل [في][146] غير ذلك من الأيام والشهور.

وإنما كان مولده في شهر ربيع الأول على ما هو المشهور.

وقول الجمهور: (ولم يكن في الأشهر الحُرُم ولا في رمضان) إشارة إلى أنه ﷺ لا يتشرف بالزمان، بل الزمان هو الذي يتشرف به كالأماكن، فلو ولد في ذلك لتوهم أنه ﷺ تشرف بذلك الزمان الفاضل فجعل الله تعالى مولده عليه أفضل

---

(144) حكى ابن حزم.

(145) في ب: أصحاب الذبح أنهم صححوه، وفي س: عن أصحاب التاريخ أنهم صحّحوه.

(146) ما بين [ ] ليست في س.

الصلاة والسلام في غيرها لتظهر عنايته به وكرامته عليه، ويتشرف ذلك الشهر بمولد ذلك النبي الكامل.

واختلف أيضا في اليوم الذي ولد فيه، والمشهور أنه يوم الاثنين وهو الأصح؛ بل الصواب لحديث مسلم أنه ﷺ سئل عن صيام يوم الاثنين فقال: ذلك يومٌ ولدتُ فيه وأنزلت عليَّ فيه النبوة.

وهذا يدل صريحا على أنه ولد نهارا، ويدل عليه أيضا غيره من الأحاديث الصحيحة.

وكانت ولادته ﷺ عند طلوع الشمس[147] كما وقع في بعض الأخبار المروية بسندٍ فيه ضعف.

قال الحافظ أبو الفضل العراقي في **"مولده"**: الصواب أنه ﷺ ولد نهارا وهو الذي ذكره أهلُ السير، والحديثُ مصرِّحٌ به.

وقال العلاّمة [الشيخ] بدر الدين الزركشي: والصحيح أن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت نهارا.

---

(147) في س: الفجر.

وأما ما رُوي[148] من تدلّي النجوم عند ولادته، فضعّفه ابنُ دحية لاقتضائه أن الولادة كانت ليلا، قال: وهذا لا يصلح أن يكون تعليلا، فإن زمان النبوة صالح للخوارق، ويجوز أن تسقط النجوم نهارا انتهى.

وقد يقال أن الولادة عقب الفجر، وللنجوم حينئذ سلطان كما في الليل فلا ينافي سقوطها.

وقيل ولد ليلا، وأكثر الأخبار تقتضي ذلك، كما قاله الحافظ ابن حجر ﷺ.

والصحيح كما مرّ آنفا أنه ولد نهارا يوم الاثنين لدلالة الأحاديث الصحيحة [منها] كما تقدم.

ومنها ما رواه الإمام أحمد في **"مسنده"** عن ابن عباس قال: ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين.

فأطوار انتقالاته ﷺ وجودا ونبوة وهجرة ووفاة، وغير ذلك، كانت خاصة بيوم واحد وهو يوم الاثنين فيكون في حقه ﷺ كيوم الجمعة في حقّ آدم ﷺ؛

(148) في س: ورد.

فيه خُلق وفيه أُنزل إلى الأرض وفيه تاب الله عليه وفيه مات. فكانت أطوارُه الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد وهو يوم الجمعة.

وإذا كان يوم الجمعة الذي خلق [اللهُ](149) فيه آدم عليه السلام خُصّ بساعة لا يصادفها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيّد المرسلين.

وإنما لم يجعل اللهُ تعالى في يوم الاثنين يوم مولده عليه الصلاة والسلام من التكليف بالعبادات كما جُعل في يوم الجمعة المخلوق فيه(150) آدم ﷺ من صلاة [يوم] الجمعة والخطبة وغير ذلك إكراما لنبينا محمد ﷺ بالتخفيف عن أمته بسبب عناية وجوده، قـــال تعـــالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء، آية:107].

ومن جملة ذلك عدم التكليف.

---

(149) ما بين [ ] زيادة من س.

(150) في س: فيها.

والحكمة في كون مولده يوم الاثنين [وفي شهر ربيع الأول أنه ورد في الحديث: إن الله خلق الشجر يوم الاثنين](151)، ففي ذلك تنبيهٌ عظيم على أن خلق الأقوات(152) والأرزاق والخيرات التي يمتدّ بها بنو آدم ويحيون وتطيب نفوسُهم وأجسامهم وقع فيه فولد فيه ما يحصل به حياة أرواحهم، ويرحمون به.

إن في لفظة ربيع إشارة وتفاؤلا حسنا بالنسبة إلى اشتقاقه.

وقد قال أبو عبد الرحمن الصّقلي: لكل إنسان من اسمه نصيب، [وكذلك لكل مسمّى من غير الإنسان من اسمه نصيب](153).

وفيه رمز إلى أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها خصوصا وقد كان مولده ﷺ في فصل الربيع، لأنه وافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان، وهو برج الحمل وكان لعشرين(154) مضت منه.

---

(151) ما بين [ ] ساقط من ب.

(152) في ب: الألوان.

(153) ما بين [ ] ساقط من ب.

(154) في ب: لشهرين.

وإنما كان فصل الربيع أعدل الفصول، لأن ليله ونهاره معتدلان بين الحر والبرد، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة، وشمسه معتدلة في[155] العلو والهبوط، وقمره معتدل في أول درجته[156] من الليالي البيض، فلذلك كان النبي ﷺ أعدل الناس خَلقا وخُلُقا، وكانت شريعتُه أعدل الشرائع [وأسمحها طُرُقا][157].

ولقد أجاد من نظم في هذا المعنى، [وقال] وأحسن المقال [في معنى لطافته][158]:

[الوافر]

يقول لنا لســـــــان الحال منه   وقول الحقّ يعذُبُ للسميع

فوجهي للزمان وشهر وصفي[159]   ربيعٌ في ربيــــــع في ربيع

(155) في س: بين.

(156) في س: درجة.

(157) ما بين [ ] ساقط من ب.

(158) ما بين [ ] زيادة من س.

(159) في س: فوجهي والزمان وشهر وضعي.

واختلف أيضا في مدّة الحمل به ﷺ فقيل: تسعة أشهر، وقيل عشرة، وقيل ثمانية، وقيل سبعة، وقيل ستة.

وولد بمكة على الأصحّ بمولده المشهور الآن، وهو مكان معروف عند أهل مكة متواتر عندهم يذهبون إليه كل عام ليلة المولد، ويحتفلون بذلك أعظم من احتفالهم بالعيد.

وقد شاهدتُ ذلك عام حجّتي في المجاورة سنة أربع وثلاثين وتسعمائة، وزرتُ المكان المذكور وتبرّكتُ به، فللّه الحمد على ذلك، ونسأله العود والحلول هنالك آمين.

ولما جاء البشير إلى جده عبد المطلب بولادة آمنة له ﷺ سُرّ بذلك سرورا عظيما، وقام ومَن معه من أشراف قومه حتى دخل عليها -وكانت وضعته تحت بُرْمَة كفته[160] عليه- كما هو عادتهم فيمن يولد من قريش، وأرادت[161] أن يكون جده أول من يراه، فوُجِدت البرمة قد انفَلَقَتْ عنه فرقتين، وإذا هو قد شقّ بصره ينظر

(160) في س: كَفَأَتْها.

(161) في س: فأرادت.

إلى السماء، فأخبرت أمُّه جدَّه حين دخل عليها بما رأت من ذلك، وبما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، فقال: احفظيه فإني أرجي[162] أن يصيب خيرا.

وفي رواية أنه أخذه وأدخله الكعبة وقام عنده يدعو الله تعالى ويشكره على ما أعطاه، وقال في ذلك شعرا مشهورا.

قال بعض أهل الإشارات: في انفلاق البرمة عنه ﷺ إشارة إلى ظهور أمره وانتشاره، وأنه يفلق ظلمةَ الجهل ويزيلها. انتهى

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر[163] من طريق المُسيب بن شريك عن محمد بن شريك عن شعيب ابن شعيب عن أبيه عن جده قال:

كان بمر الظهران راهبٌ من أهل الشام يُدعى[164] عيصى، وكان قد آتاه اللهُ علما كثيرا، وكان يلزم صومعةً له ويدخل مكة فيلقى[165] الناس، ويقول: إنه يوشك أن يولد فيكم مولودٌ يا أهل مكة تدين له العرب، ويملك العجم، هذا زمانه،

---

(162) في س: أرجو.

(163) في ب: وابن عباس. وهو خطأ. والخبر في "تاريخ دمشق" للحافظ ابن عساكر (3/ 426).

(164) في س: يسمى.

(165) في س: ويلقى.

فمن أدركه واتبعه أصاب حاجتَه، ومن أدركه وخالفه [فقد][166] أخطأ حاجته، وتالله ما تركتُ أرض الخمر والخمير والأمن، ولا حللتُ أرض البؤس والجوع والخوف إلا في طلبه، وكان لا يولد بمكة مولود إلا سأل[167] عنه فيقول ما جاء بعد؛ فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد المطلب [حتّى أتى عيصى فوقف على أصل صومعته فناداه فقال أنا عبد المطلب][168] فأشرف عليه فقال: كن أباه فقد وُلِد ذلك المولود الذي كنتُ أحدِّثُكم عنه يوم الاثنين ويُبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين، وإن نجمه طلع البارحة، وآية ذلك أنه الآن وجع[169] فيشتكي ثلاثا ثم يُعافى فاحفظ لسانك فإنه لم يُحسَد حَسَده أحدٌ ولم يُبغ على أحد كما يُبغي عليه. قال: فما عمره؟ قال: إن طال لم يبلغ

(166) ما بين [ ] زيادة من س.

(167) في س: يسأل.

(168) ما بين [ ] ساقط من ب.

(169) في س: وجيع.

السبعين يموت في وتر دونها[170] في الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين أعمار رجال[171] أمته.

وروى البيهقي عن أبي الحسن التنوخي أنه لما كان يوم السابع من ولادة رسول الله ﷺ ذبح عنه جدُّه ودعى قريشا، فلما أكلوا قالوا ما سميتَه؟

قال: سمّيتُه محمّدًا، قالوا لم رغبت به عن أسماء[172] أهل بيته؟

قال: أردتُ أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض.

وذكر السهيلي وأبو الربيع الكلاعي أن عبد المطلب إنما سماه محمدا لرؤيا رآها زعموا[173] أنه رأى مناما كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، ولها طرف في السماء وطرف في الأرض، وطرف بالمشرق، وطرف بالمغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا[174] أهل المشرق وأهل المغرب يتعلقون بها،

---

(170) في ب: منها.

(171) في ب: أجل، وفي س: جُلّ.

(172) في س: اسم.

(173) كذا في النسخة ب أيضا، وفي هامش النسخة الجزائرية: زعم.

(174) في س: وأن.

فقصّها فعُبِّرت له بمولود يكون من صُلبه يتبعه أهلُ المشرق وأهل المغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سماه محمّدًا؛ مع ما حدثته به أمه من أنه أتاها آتٍ(175) وهي بين النائم واليقظان، وقال لها: إذا وضع(176) فسمِّيه محمّدا.

[مطلب القيام عند سماع مولده ﷺ]

تنبيه

جرتْ العادةُ بأنه إذا ساق الوُعّاظُ والمدّاح مولدَه ﷺ [وذكروا وضع أمِّه له ﷺ](177) قام أكثرُ الناس عند ذلك تعظيما له ﷺ، وهذا القيام بدعةٌ لا أصل لها(178)، لكن لا بأس به لأجل التعظيم، بل هو فعلٌ حسن ممّن غلب عليه الحبّ والإجلال لذلك النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم.

---

(175) في ب: مع حدثت أمه أتاها آت، وفي س: حدثته به آمنة من أنه أتاها آت.

(176) في س: وضعتيه.

(177) ما بين [ ] ساقط من س.

(178) في ب: له.

وما أحسن قول الإمام البليغ حسان زمانه أبي زكريا يحي الصرصري الحنبلي ﷫ تعالى في بعض **قصائده النبوية**(179): [الطويل]

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب	على فضة من خط أحسن من كتب(180)
وأن تنهض الأشـرافُ(181) عند سماعه	قياما صفـوفا أو جثايا(182) على الركب
أما الله تعظيـــــــما له كتب اسمَه	على عرشه يـــا رُتبة سمت الرُتب

وقد اتفق أن مُنشِدا أنشد هذه القصيدة في ختم درس شيخ [الإسلام بقية المجتهدين الأعلام تقي الدين أبي الحسن علي السبكي ﷫ تعالى، وكان القضاة والأعيان مجتمعين عنده، فلما وصل المنشدُ إلى قوله (وأن ينهض الأشرافُ عند سماعه ..إلى آخر البيت) قام الشيخ للحال قائما على قدميه امتثالا لما ذكره الصرصري، وقام الناسُ كلهم وحصلتْ ساعة طيبة. ذكر ذلك ولدُه التاج السبكي في ترجمته من "**طبقاته**".

---

(179) في ب: بعض قصائد النبوة.

(180) في س: على وَرِقٍ من يد أفخر من كتب.

(181) في ب: ينهضون الشراف.

(182) في س: جَثْيًا.

وأما ما اشتهر على بعض الألسنة من أنه ﷺ قال: ولدتُ في زمن الملك العادل يعني كسرى أنوشروان، فقال الحفّاظ من المتقدمين والمتأخرين: إنه كذبٌ لا أصل له.

وقد رأى بعضُ الصالحين قديما النبي ﷺ في المنام وسأله عن هذا الحديث، وقال له: إني سألت أبا عبد الله الحافظ يعني الحاكم عن هذا الحديث، فقال: إنه كذب لم يقله النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ صدق أبو عبد الله، ما قلتُه.

ولما أتت ثُويبةُ جارية عمه أبي لهب إليه وبشَّرته بأن قد ولد لأخيه عبد الله غلام أعتقها في الحال، ثم جعلها ترضعه بعد ولادته أيّامًا.

وقد رئي أبو لهب بعد موته في المنام فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه يخفف [عنّي] كلّ ليلة اثنين وأمصُّ من بين أصبعي ما بقدر هذا، -وأشار إلى نُقرة إبهامه- وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشّرتْني بولادة محمد ﷺ وبإرضاعها له.

وقد روي معنى هذا عن النبي ﷺ وشرّف وكرّم.

فانظر يا أخي -رحمك الله- إلى هذه النكتة اللطيفة، إذا كان هذا حال أبي لهب الكافر الذي نزل القرآنُ بذمّه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي المختار ﷺ

وشرف وكرم، فما حال المسلم الموحد من أمة محمد[183] النبي ﷺ الذي يسر بمولده، ويبذل ما تصل القدرة إليه في محبته؟ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم.

وما أحسن ما قاله الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله في ذلك:

[الطويل]

إذا كان هذا كافرٌ جـــــــاء ذمه	وتبّت يـــــداه في الجحيم مخلّدا
أتى أنه في يـــــــوم الاثنين دائما	يخفف عنه للســـــــرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كـــان عمره	بأحمد مسرورًا ومــــات موحدا

إذا علم ذلك، فالاعتناء بوقت مولده الشريف وإظهار السرور فيه، وعمل المولد بقراءة القرآن والإنشاد للمدائح النبوية والزهدية والعرفانية وإطعام الطعام والصدقات السنية أمر حسن منيف يُثاب فاعلُه الثواب الجزيل بقصده الجميل.

(183) في ب: المسلم الموحج برسالة محمد.

وإن كان عمل المولد المذكور لم ينقل عن أحدٍ من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة وإنما حدث بعدها فذلك [بدعة] حسنة[184] عند من حقّق العلم وأتقنه.

ثم لا زال أهلُ الإسلام في سائر الأقطار والمدن العظام يحتفلون[185] في شهر مولده خصوصا في ليلته بعمل المولد، بما ذكر وإظهار السرور بذلك][186] والحبور بتلك المسالك، وبعضهم يزيد على ذلك بقراءة ما صُنِّف في المولد الشريف، وما ورد فيه من الخبر الثابت المنيف، على أنه ليس قيدا في استحباب عمل المولد المذكور، وإنما هو لزيادة الأجور.

وكان مما جرّب كما قاله الإمام الشمس ابن الجوزي[187] المقرئ ﷺ: من خواص [عمل][188] المولد المذكور أنه أمان تام في ذلك العام، وبشرى تعجل بنيل ما يبتغى ويرام، ولو لم يكن في ذلك إلا إرغام الشيطان وسرور أهل الإيمان، **وإذا**

---

(184) في ب: فلذلك حسنة.

(185) في ب: يتحضظون.

(186) ما بين [ ] ساقط من س.

(187) كذا في النسخة الجزائرية وس، وصوابه الجزري كما ب.

(188) ما بين [ ] ساقط من س.

كان أهلُ الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيدًا أكبر، فأهلُ الإسلام أولى بالتكريم وأجدر.

وأكثر الناس عنايةً [بذلك][189] أهل مكة المشرفة، ثم أهل المدينة المنورة، ثم أهل مصر خصوصا في السنين المتقدمة، ثم غيرهم. تقبل الله عملَهم.

ولقد كان الملك المظفر صاحب إربل يعتني بذلك أشد عناية، واهتمامُه بشأن ذلك جاوز الغاية، بحيث أثنى عليه بسبب ذلك[190] الإمام العلامة أبو شامة، وقال: مثل هذا الفعل الحسن يُندب إليه ويُشكر فاعلُه ويُثنَى عليه.

[قف على سُماط المظفر في مولد النبي ﷺ]

وقال في مرآة الزمان: حكى [بعض] من حضر بعض سماط [الملك] المظفر في بعض المواليد أنه عدّ[191] في ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى.

---

(189) ما بين [ ] ساقط من س.

(190) في ب وس: بسببه.

(191) في ب: عمل.

وكان يحضر عنده [في المولد] أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم يعني الأعطية.

وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار.

قال ابن خلّكان في ترجمة الحافظ أبي [الخطّاب] ابن دحية: إنه لما اجتاز بإربل ووجد ملكها المظفر يعتني بالمولد النبوي فعمل له **"كتاب التنوير في مولد البشير النذير"** وقرأه عليه بنفسه فأجازه على ذلك بألف دينار.

فرحمهما الله تعالى ورضي عنهما وأثابهما الجنة بمنه وكرمه آمين.

وقد خرَّج شيخُ مشايخنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله فعل المولد[192] المذكور على أصلٍ ثابت معتبر، هو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هذا يومٌ أغرق الله تعالى فيه فرعون ونجّى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى.

فقال: أنا أحقّ بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه.

(192) في س: المولود.

فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة ودفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة.

والشكر لله تعالى يحصل بأنواع:

العبادات كالسجود والصيام والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة ﷺ في ذلك اليوم[193] وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم[194] بعينه، فإن كان ولد ليلا فليقع الشكر بما يناسب الليل كالإطعام، وإن كان ولد نهارا وهو الأصح فبما يناسبه[195] كالصيام والصدقة. ولا بد أن يكون ذلك اليوم بعينه من عدد أيام ذلك الشهر بعينه، حتى يطابق قصة موسى عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء.

ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أيّ يوم من الشهر، بل توسع قومٌ فنقلوه إلى يوم من السنة. وفيه ما فيه.

---

(193) في هامش النسخة الجزائرية: الوقت.

(194) في س: الوقت.

(195) في ب: شبهه.

[وينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى][196] من نحو ما ذكر.

وأما السماع واللهو وغيرهما، فما كان مباحا يعني السرور بذلك اليوم فلا بأس به. وما كان حراما أو مكروها فيمنع. وكذا ما كان خلاف الأولى انتهى.

قال الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله: وقد ظهر لي تخريجه يعني عمل المولد على أصل آخر، أي غير ما ذكره الحافظ ابن حجر؛ وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي ﷺ عقّ عن نفسه بعد النبوة. مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عقّ عنه في سابع ولادته.

والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن هذا الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك.

فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرّات انتهى.

قلتُ: ما ذكره الحافظ ابنُ حجر من التخريج أنسب وأظهر مما ذكره الحافظ السيوطي رحمهما الله تعالى، كما هو الظاهر، لأن فعل صوم يوم عاشوراء يتكرر

---

(196) ما بين [ ] ساقط من س.

كل عام، [وهو في](197) وقت معيّن، فكان عمل المولد المذكور مثله بخلاف العقيقة فإنها لا تتكرر وليست مختصة بوقت معين، لا تتقدم عليه ولا تتأخر.

ولأن ما فعله جدّه عبد المطلب من العقيقة لم يقع عنه لأن ذلك كان قبل الشرع فلا يتعلق(198) به حكم.

والعقيقة التي فعلها ﷺ عنه بعد النبوة على -تقدير(199) صحّتها- كانت بعد الشرع، فهي المشروعة والواقعة عنه لأنه بعد ولادته لم يعق(200) عنه عقيقة مشروعة.

وقد قال أئمتُنا: إن(201) من بلغ ولم يعق عنه، فحسن أن يعق عن نفسه.

على أن ما ورد من أنه ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة حديث منكر، كما قاله ابن حجر وغيره.

---

(197) ما بين [ ] ليست في س.

(198) في ب: يليق.

(199) في ب: تقرير.

(200) في الأصل وب: يقع، والمثبت من س.

(201) في س: إنه.

بل قال النووي في "**شرح المهذب**": إنه حديث باطل.

فعليه يسقط التخريج المذكور أيضا بالأولى والله ﷻ أعلم.

قال العلامة الشمس ابن الجوزي[202] في آخر كتابه "**التعريف بالمولد الشريف**":
فإن قيل [فلِمَ] لم[203] تتخذ أمته ﷺ يوم مولده عيدا كما اتخذت أمة عيسى ليلة مولده عيدا؟

فالجواب: إنه لما كان يوم مولده ﷺ هو يوم وفاته، تكافئ السرورُ بالعزاء.

وهذا أحسن ما خطر لي في ذلك.

وقد يقال: إنه لما اختلف فيه لم يتعين.

أو يقال: إن الأعياد توقيفية، ولم يشرع غير هذين اليومين[204].

أو يقال: إن في ذلك تشبيها بالنصارى،

وقد نُهي عن التشبيه بأهل الكتاب.

---

(202) كذا في النسخة الجزائرية، وصوابه الجزري كما في ب وس.

(203) في س: قلت فلم لم، وما بين [ ] زيادة من س.

(204) في س: العيدين.

أو يقال:

سدّا للذريعة كما قال ﷺ: لا تتخذوا قبري عيدا.

وما أشرتُ إليه أولى وألطف والله أعلم.

وإلا في الحقيقة أن مولده ﷺ عيد للإسلام[205] وأي عيد ويشمل القريب من أمته والبعيد انتهى.

ولما ولد ﷺ أرضعتُه أمُّه سبعة أيام، ثم أرضعته ثُوَيْبَة الأسلمية مولاة أبي لهب أياما، حتى قدمت حليمة وكانت أرضعتْ قبلَه عمَّه حمزة رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ يبعث إليها من المدينة بصلة وكسوة حتى توفيت.

واختلف في إسلامها وأثبته ابنُ منده.

ثم أرضعتُه أم كبشة حليمة بنت [أبي][206] ذؤيب السعدية؛ واختلف في إسلامها أيضا.

وذكرها جماعةٌ في الصحابيات.

(205) في س: عيد الإسلام.

(206) ما بين [ ] زيادة من س.

وذكر الحافظ ابن سيِّد الناس في **"سيرته الكبرى"** أنها أسلمت[207]، ثم قال: ومن الناس من ينكر إسلامها.

والظاهرُ كما قاله بعضُهم أنه أشار بذلك لشيخه الحافظ شرف الدين الدمياطي.

وقد ألّف الحافظُ أبو سعيد علاء الدين مغلطاي في إسلامها جُزْءًا.

وقال في سيرته: وصحح ابنُ حبان[208] وغيرُه حديثا دلّ على إسلامها.

وقد جاء عنها أنها قالت: لما وضعتُه في حجري أقبل عليه[209] ثدياي بما شاء من اللبن، [فشرب][210] حتى رَوي، وشرب معه أخوه عبد الله ابنُها حتى رَوي، وناما وما كان أخوه ينام قبل ذلك، وما كان فيَّ ما يُرويه [ولا في شارفنا[211] ما يغذيه][212]، فقام زوجي الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي إلى شارفنا[213]

(207) عيون الأثر (1/ 45، 46).

(208) في ب: ابن حياره. وهو تحريف.

(209) في س: على.

(210) ما بين [ ] ليس في س.

(211) الشارف: الناقة المسنة، وفي هامش س: الناقة الكبيرة.

(212) ما بين [ ] ساقط من س.

تلك فنظر إليها فإذا هي حافل باللبن، فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا(214) شبعا وريّا فبتنا بخير ليلة ببركته ﷺ.

قالت حليمة: وكان رسولُ الله ﷺ يَشِبُ في اليوم شباب الصبي في الشهر، فرددته إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر، وعند حليمة شُقّ صدرُه الشريف ﷺ ومُلِئ حكمةً وإيمانا، واستخرج حظّ الشيطان منه، وبقيت حليمة حتى قدمت على رسول الله ﷺ بمكة -وقد تزوج خديجة- فشكت إليه جدب البلاد فكلّم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيرا وانصرفت إلى أهلها.

وقَدِمَت عليه أيضا في يوم حُنين فقام إليها وبَسَط لها رداءه، فجلست عليه وقضى حاجتها.

فلما توفي قدمت على أبي بكر فصنع بها مثل ذلك.

وأما تجويز الذهبي أن القادمة عليه ﷺ يوم حنين هي ثويبة مولاة أبي لهب فنظر فيه بأن ثويبة توفيت سنة سبع، وحنين كانت في سنة ثمان.

---

(213) في ب: شاة.

(214) في ب: انتهيت.

وحضنته الفاضلة الجليلة أمُّ أيمن بركة الحبشية مع أمه وبعدها، وكان ورثها من أبيه، وكانت دايته وزوّجها من حِبِّه[215] زيد بن حارثة فولدت له أسامة[216] وكانت أم أيمن تقول: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ شكا[217] جوعًا قط ولا عطشا وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان.

ولما أكمل ستّ سنين توجهت به أمه مع حاضنته أمّ أيمن إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بني النجار، أقاموا شهرا ورجعوا، فلما كانوا بالأبواء[218] ماتت[219] أمُّه فدخلت به أمّ أيمن مكة، لأنها كانت دايته وحاضنته كما تقدم. وكان يقول لها: أنتِ أمِّي بعد أمي.

فضمّه جدُّه عبد المطلب إليه وكان يرقّ عليه، ويُعلي منزلتَه ويقول: إن لولدي هذا شأنا.

---

(215) في ب: حبيبه.

(216) في ب: أمامة.

(217) في س: يشتكي.

(218) في ب: بالانوذ.

(219) في ب: أتت.

وكان أبوه عبد الله مات وهو حمل، لأن عبد المطلب كان بعثه إلى غزة[220] من الشام يَمتار[221] لهم طعاما مع تجار من قريش، فلما رجعوا مرض عبد الله فلما وصلوا إلى المدينة تخلّف بها عند أخواله بني النجار ثم مات بها وله ثلاثون سنة.

ولما بلغتْ وفاته عبد المطلب وجد عليه وجدا شديدا.

والصحيح أن النبي ﷺ كان وقت موت أبيه حملا في بطن أمه بعد شهرين من حملها، وخلّف عبدُ الله جاريته أمّ أيمن وخمسة أجمالٍ وقطعة غنمٍ، فورث ذلك رسولُ الله ﷺ.

وقد نقل الإمام أبو حيان في تفسيره **"البحر"** أن جعفر الصادق قيل له: لِـمَ يُتِّمَ رسولُ الله ﷺ من أبويه؟

قال: لئلا يكون عليه حقّ لمخلوق.

وقال ابن العماد في **"كشف الأسرار"**: إنما ربّاه يتيما لأن أساس كل كبير صغير[222]، وعقبى كل حقير خطير، وأيضا لينظر ﷺ إذا وصل إلى مدارج عزِّه

---

(220) في ب: غزوة.

(221) في ب: يمتاز.

(222) في س: كبير وصغير.

إلى أوائل أمره ليعلم[223] أن العزيز مَنْ أعزّه الله تعالى، وأن قوته ليست من الآباء والأمهات، ولا من المال بل قوته من الله تعالى، وأيضا ليرحم الفقير والأيتام انتهى.

وقد روي من حديث عائشة إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به.

رواه السهيلي[224] وغيره.

والحديثُ -وإن كان ضعيفا كما قاله[225] بعضهم-، فالقدرة صالحة لذلك.

وما أحسن ما قاله الحافظ الشمس ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله في ذلك[226]:

[الوافر]

حبى اللهُ النبي مزيد فضلٍ ... على فضل وكان به رءوفا

فأحيا أمّه وكذا أباه ... لإيمان به فضلا منيفا

---

(223) في ب: ليتعلم.

(224) الروض الأنف (2/ 188)، (4/ 30).

(225) في س: قال.

(226) وهو صاحب أعظم كتاب ألف في المولد وعنوانه: "جامع الآثار في السير ومولد المختار"، وقد أصدرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، عام 1431هـ-2010م، ويقع في 8 مجلدات.

فسلّم فالقديـــــــــم بذا قديرٌ وإن كـان الحديث به ضعيفا

وعلى كل حال فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يــــؤذي النبي ﷺ.

وقد قال: لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات.

[ولا ريب] أن أذاه كفرٌ يُقتل فاعلُه إن لم يتب منه، خصوصًا وهما ناجيان من التعذيب في الدار الآخرة لأنهما من أهل الفَتَرة، وقد دلّت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة لقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء، آية:15].

ولما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ ومات وللنبي ﷺ ثمان سنين، وقيل تسع، وقيل عشر، وقيل ستّ.

ولما بلغ ﷺ ثنتي عشرة سنة خرج به عمُّه أبو طالب[227] إلى الشام، فلما وصل بصرى رأى بحير الراهب فأخذ[228] بيده، وقال: هذا سيد العالمين ورسول الله، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين.

[فقيل له]: من أين علمتَ هذا؟

قال: إنكم حين أقبلتم من العقبة[229] لم يبق حجر ولا شجر إلا خرّ له ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبي وإنا نجده في كُتُبِنا.

وقال: إن بين كتفيه خاتم النبوة، وأمر عمَّه أبا طالب أن يرد به من بصرى خوفًا عليه من اليهود، فرجع به ولم يتجاوز بصرى.

ولما بلغ خمسًا وعشرين سنة، خرج مرة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها، فلما وصل إلى بصرى نزل تحت ظل شجرة قريبا من صومعة نَسطور[230]

---

(227) في ب: أبا طالب.

(228) في س: فأخذه.

(229) في ب: القبة.

(230) في ب: قنطور.

الراهب، فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلا نبيّ، ثم قال لميسرة: أفي عينيْه حُمرة؟

قال: نعم.

قال: لا تفارقْه هو نبي وهو آخر الأنبياء.

ورجع ﷺ من بصرى أيضا، وكان ميسرة إذا اشتد الحرّ يرى ملكين يُظلان رسولَ الله ﷺ من الشمس، فباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون.

فلما رجعوا ودخل النبي ﷺ مكة رأته خديجة والملكان يظلانه فأرته خديجةُ نسائها، وأخبرها النبي ﷺ بالرِّبح وأخبرها ميسرة بما رأى، وبما أخبر به الراهب نسطور[231] فكان ذلك باعثا لخديجة ؓ على تزويجها به فتزوّجها بعد ذلك بثلاثة أشهر.

وقد كمل له خمس وعشرون سنة، وعمرها أربعون سنة.

ولما بلغ ﷺ خمسا وثلاثين سنة بَنَت قريشٌ الكعبة وذلك أن بابها وكان ملصقا بالأرض، وكان السيلُ يدخله فانصدع وسُرق طيبُ الكعبة وخافت قريش أن

---

(231) في ب: قنطور.

تهدمها[232] السيول، فلما وصلوا في البناء إلى الموضع الذي يوضع فيه الحجر الأسود اختلفوا، وقالت كلُّ قبيلة: نحن أحقّ بوضعه؛ حتى همّوا بالقتال، ثم اتفقوا على أن يجعلوا بينهم أوّلَ من يدخل من باب بني شيبة حَكَمًا يقضي بينهم، وكان ﷺ أول داخل[233] فلما رأوه قالوا هذا الأمين قد رضينا بقضائه -وكانوا يدعونه قبل النبوة الأمين-، فأخبروه فوضع ﷺ رداءه وبسطه على الأرض ثم وضع الحجر، وقال لتأخذ كلُّ قبيلة بطرف من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا ففعلوا ذلك فلما بلغوا موضعه وضعه النبي ﷺ بيده الكريمة.

ولما كمل له أربعون سنة نبّأهُ الله تعالى، ونزل عليه جبريل في يوم الاثنين.

قيل: [كان ذلك][234] في شهر ربيع الأول.

وقيل: في شهر رمضان.

وجمع بين القولين بأن أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. فابتداءُ نزول جبريل عليه السلام عليه

(232) في ب: تدهمها.

(233) في ب: أول من دخل.

(234) ما بين [ ] ليس في س.

في المنام[235] كان في شهر ربيع الأول، وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر، وحُبِّب إليه الخلاء فكان يخلوا بغار حراء يتعبد فيه الليالي حتى فجئه الحق وهو بالغار المذكور، وكان ذلك في شهر رمضان فجاءه جبريل فقال له: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾.

فقال: ما أنا بقارئ.

فغطّه حتى بلغ منه الجهد، ثم قال له: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ .

فقال: ما أنا بقارئ.

فغطّه كذلك ثم أعاد [وأعاد][236] فقال له جبريل بعد المرة الثالثة:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾[سورة العلق:1-5].

و(ما) في قوله (ما أنا بقارئ) نافية في الكلّ، أو الأولى للامتناع، والثانية للإخبار بالنفي المحض، والثالثة للاستفهامية[237].

---

(235) في ب: النوم، وفي س: عليه السلام في المنام.

(236) زيادة من ب وس.

(237) في س: استفهامية.

وكرّر اللفظ ثلاثا ليقبل بكليته ويتم توجهه لما سيلقي عليه، وليظهر[238] له الشدة والاجتهاد في هذا الأمر فيتنبه إلى ثقل ما سيلقي عليه.

وإنما ابتدئ قبل ذلك بالرؤيا الصالحة لئلا يفجأه الملك ويأتيه تصريح النبوة بغتة، فلا تقبلها القُوى البشرية، فبدئ بأوائل تباشير النبوة وخصال الكرامة تأنيسا وتمرينا له[239]، فلما تمرّن على ذلك في المنام جاءه في اليقظة بصريح النبوة والكلام.

ثم بعد ذلك فتر الوحي ثلاث سنين فيما جزم به ابنُ إسحاق.

وقيل سنتين ونصفا ليذهب عنه ما وجده من الروع، وليزيد تشوقه إلى العَوْد.

ثم نزل عليه جبريل بعد ذلك لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر، الآيات:1و2] فهي أول ما نزل عليه بعد فترة الوحي.

وأما (اقرأ باسم ربك) فهي أول ما نزل مطلقا.

والقول بأن أول ما نزل مطلقا (يأيها المدثر)، باطل كما قاله النووي.

---

(238) في ب: وتظهر.

(239) في ب: تأنيسا يناله فلما تمرن..إلخ.

ويؤخذ من مرسل الشعبي الذي رواه الإمام أحمد في **"تاريخه"**(240) بسندٍ صحيح، ورواه غيرُه، أن اجتماع إسرافيل به ﷺ كان في مدة فترة الوحي ليؤنسه ويقوِّيه على [تحمّل] أعباء ما سينزل عليه.

---

(240) علقه الحافظ الذهبي في "تاريخه" و"سير النبلاء" دون عزو، وعزاه الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرى" (1/ 157) لأحمد بن حنبل ويعقوب بن سفيان في تاريخيْهما وابن سعد والبيهقي.

واكتفى في الإتقان(1/ 161)، ومعترك الأقران(2/ 267) بعزوه لأحمد في التاريخ.

وعزاه ابن حجر الهيتمي في كتابيه: الفتاوى الحديثية (ص151)، وأشرف الوسائل إلى فهم الشمائل(ص45) لأحمد في تاريخه، وقال: أثر مرسل أو معضل.

وهو في دلائل النبوة للبيهقي (2/ 132): أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا أبو عمرو بن السماك، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: حدثنا أبو عبد الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن عامر، قال «نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة.

وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب(1/ 36) من طريق أحمد.

وأخرجه الآبنوسي في مشيخته (218) أخبرنا عبيدالله بن عثمان قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثنا معاذ بن المثنى قال: حدثنا هدبة بن خالد، عن وهيب، عن داود، عن عامر وساقَ الحديثَ، قال: ولفظُه على ما حدَّثنا به عبدُالله بن أحمدَ بنِ حنبلٍ.

وصحح إسناده القرطبي في التفسير(10/ 177)، قال: روي بإسناد صحيح، وأقره العراقي في "طرح التثريب"(4/ 182).

وصححه الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية"، وقال: وَقَدْ حَكَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ بَعْضِ مَشَايِخِهِ أَنَّهُ أَنْكَرَ قَوْلَ الشَّعْبِيِّ هَذَا. وَحَاوَلَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا. وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ. بِهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّعْبِيُّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال الحافظ في الفتح(1/ 27): ((راجعت المنقول عن الشعبي من تاريخ الإمام أحمد ولفظه من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي أنزلت عليه النبوة وهو بن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة.

وأخرجه بن أبي خيثمة من وجه آخر مختصرا عن داود بلفظ: بعث لأربعين ووكل به إسرافيل ثلاث سنين ثم وكل به جبريل.

فعلى هذا فيحسن بهذا المرسل إن ثبت، الجمع بين القولين في قدر إقامته بمكة بعد البعثة فقد قيل ثلاث عشرة وقيل عشر ولا يتعلق ذلك بقدر مدة الفترة والله أعلم.

وقد حكى بن التين هذه القصة لكن وقع عنده ميكائيل بدل إسرافيل وأنكر الواقدي هذه الرواية المرسلة وقال لم يقرن به من الملائكة إلا جبريل انتهى

ولا يخفى ما فيه فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم والله أعلم.

وأخذ السهيلي[في الروض الأنف] هذه الرواية فجمع بها المختلف في مكثه صلى الله عليه وسلم بمكة فإنه قال: جاء في بعض الروايات المسندة أن مدة الفترة سنتان ونصف وفي رواية أخرى أن مدة الرؤيا ستة أشهر فمن قال مكث عشر سنين حذف مدة الرؤيا والفترة ومن قال ثلاث عشرة أضافهما.

وهذا الذي اعتمده السهيلي من الاحتجاج بمرسل الشعبي لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياما ..)).

وكان إسرافيل يعلِّمُه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه شيءٌ من القرآن على لسانه.

ولكن بعضهم وهَّى مُرْسَلَ الشعبي، واعتمد إنكارَ الواقدي له.

وقوله (إنه لم يقرن به ﷺ من الملائكة إلا جبريل)، فاستند إلى أحاديث صحيحة وحسنة تدل على أن إسرافيل لم ينزل عليه ﷺ في أول النبوة، وإنما نزل عليه بعد ذلك في أشياء خاصة.

وكذا هو معزو في شرح البخاري للقسطلاني، والمواهب اللدنية(1/ 128) لأحمد في التاريخ.

لكن عزاه العيني في "عمدة القاري" لمسند أحمد بإسناد صحيح.

ورواه ابن سعد في الطبقات (1/ 191) ومن طريقه ابن الجوزي في المنتظم (2/ 353).

قال ابن سعد: فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر (يعني الواقدي) فقال: ليس يَعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون: لم يقرن به غير جبريل من حيث أنزل عليه الوحي إلى أن قبض اهـ.

وممن وهاه الحافظ مغلطاي. وللنظر فيمن وهاه أيضا: الحاوي للفتاوي (2/ 203، 204)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي(2/ 230، 273)، شرح حديث المبعث لأبي شامة المقدسي(76، 178)، والتوضيح لابن الملقن(2/ 223، 298)، (20/ 475).

وظهر من نزول (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) أولا، ونزول (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) بعد فترة الوحي أن نبوته ﷺ كانت متقدمة على رسالته كما صرح به أبو عمرو وغيره.

وعلى ذلك يحمل قول صاحب **"جامع الأصول"**: الصحيح عند أهل العلم بالأثر أنه بُعث على رأس ثلاث وأربعين سنة انتهى.

وكان في (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) نبوته، وفي (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) رسالته بالنذارة والبشارة والتشريع.

وإنما اقتصر على الإنذار في هذه السورة مع أنه ﷺ بعث مبشرا أيضا، لأن ذلك كما كان أول الإسلام، فمتعلق الإنذار محقق، فلما أطاع من أطاع أنزل الله تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾﴾ [الفتح، الآية:8]، [الأحزاب، الآية:45].

وكان أول من آمن به من الرجال الأحرار أبو بكر رضي الله عنه.

ومن الصبيان عليّ رضي الله عنه وله عشر سنين.

ومن النساء خديجة.

ومن الموالي زيد بن حارثة.

ومن العبيد بلال كما قال ابن الصلاح: إنه الأورع[241].

لكن قال شيخ الإسلام السراج [عمر] البلقيني[242]: إن أول من آمن من الرجال وَرَقَة بن نوفل، لنزول الوحي في حياته على النبي ﷺ وإيمانه بالنبي وتصديقه برسالته صريحا كما جاء في أحاديث قصة بدء الوحي وغيرها في الصحيح وغيره.

وجرى على ذلك الحافظ الزين أبو الفضل العراقي في **"نكته على كتاب ابن الصلاح"**[243].

ومشى على ذلك جماعة من الأئمة وعدُّوه في الصحابة.

ثم أسلم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بدعاء أبي بكر[244] إيّاهم للإسلام.

وأقام ﷺ بمكة عشر سنين رسولاً، وثلاثة عشر[245] نبيا رسولا، على ما تقرر آنفا.

(241) في الأصل: الأول، والتصويب من ب و س. ومعرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح (ص300).

(242) لم أجد موضع النقل في "محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح"-طبعة دار ابن حزم.

(243) التقييد والإيضاح (ص312).

(244) في ب: أبو بكر.

وأول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد، فأقام ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله مستخفيا ثم نزل عليه قوله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ ﴾ [الحجر، آية:94]، فأعلن ﷺ بالدعوة وجاهر قومَه بالعداوة، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين، حتى أذن لهم في الهجرتين إلى أرض الحبشة.

وفرض اللهُ تعالى عليه من قيام الليل ما ذكره أول سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها.

وفرض عليه ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي.

ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء.

ومات عمه أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة.

وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، فنالت قريشٌ من أذى النبي ﷺ ما لم تنله في حياته .

(245) في س: ثلاث عشرة.

ثم في السنة الثانية عشر من النبوة قبل الهجرة بسنة -على ما جرى عليه النووي وبالغ ابنُ حزم فادعى فيه الإجماع- وقيل قبلها بسنة وخمسة أشهر، وقيل بسنة وثلاثة أشهر.

وأما ما قاله القاضي من أنه بعد المبعث بخمس سنين، فيردّه أن خديجة ماتت قبل فرض الخَمْس.

وموتها قبل الهجرة بثلاث سنين، وذلك ليلة سبع وعشرين من رجب، وصحّحه جماعة وجزم به النووي في **"الروضة"** تبعا للرافعي؛ أو ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول؛ أو الآخر كما جزم بالأول ابنُ الأثير وجمعٌ منهم النووي كما في النسخ المعتمدة من **"فتاويه"** وبعض نسخ **"شرح مسلم"** وفي بعض نسخها وأكثر نسخ مسلم الثاني.

وقيل: كان ذلك في رمضان.

ولما تم له ﷺ اثنان(246) وخمسون سنة أسري بجسده ﷺ وروحه يقظةً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به منه إلى السموات السبع إلى سدرة المنتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، ورأى آدم في الأولى وعيسى ويحيى

(246) في س: اثنتان.

في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة على الأرجح في الروايات الصحيحة.

وفَرَضَ اللهُ عليه وعلى أمّته الصلاة، ورأى ربَّه بعين رأسه على الأصح، وأوحى إليه ما أوحى، فسمع كلامه؛ وإنما اختص موسى بالكليم[247] لأنه سمعه وهو في الأرض.

ثم عاد من ليلته إلى مكة، فلما أصبح وأخبر قريشا بذلك فصدّقه أبو بكر الصديق ﵁ والمؤمنون، وكذبه من قريش المشركون، وارتدّ جماعة ممن كان أسلم، وسأله المشركون عن بيت المقدس فجلاه اللهُ له وأخبرهم بما سألوه عنه.

وسأله أمارة، فأخبرهم بالعير وإنهم يقدمون يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس، وكان كما وصف.

ثم أذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى المدينة بعد قدوم من أسلم على يده من الأنصار، وذلك أنه ﷺ لقي في منًى -لَّما كان يعرض نفسه في الموسم على قبائل العرب- ستة من الأنصار فآمنوا به عند عقبتها، وقال لهم: تمنعون ظهري حتى

(247) في س: بالتكليم.

أبلِّغ رسالة ربي فواعدوه الموسم القابل فجاء منهم اثنى عشر فأسلموا وآمنوا وبايعوه ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله تعالى الإسلام.

ثم قدم عليه منهم العام المقبل سبعون أو وخمسة أو وثلاثة وامرأتان فأسلموا وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم، وعلى حرب الأحمر والأسود، وبعث عليهم اثنى عشر نقيبا.

ولما أمر ﷺ أصحابه بالهجرة أقام ينتظر الإذن في الهجرة، فأذن له فيها عقب العقبة الثالثة هلال ربيع الأول-فيما قاله ابن إسحاق-، وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر الصديق معه فخرجا[248] من مكة يوم الخميس وبقيا في غار ثور[249] بأسفل مكة وأمر الله العنكبوت فنسج على بابه، وأمر حمامتيْن وحشيتيْن فعششتا هناك، ثم خرجا من الغار ليلة الاثنين والنبي ﷺ على ناقته الجدعاء[250] فتعرض لهما سراقة بن مالك فدعا النبي ﷺ عليه فساخت قوائم فرسه بالأرض فطلب الأمان فأُطلق.

(248) في ب: فخرج.

(249) في ب: ثبور.

(250) في ب: على الجذع.

وقدم النبي ﷺ المدينة ومعه أبو بكر يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وقيل [في ثلاثة][251] وقيل غير ذلك وله ﷺ من العمر ثلاث وخمسون سنة.

فأقام بقباء أربع عشرة ليلة، والمشهور عند أصحاب المغازي ما ذكره ابن إسحاق أنه أقام فيها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم خرج منها ضحًى يوم الجمعة فأدركته صلاتها في الطريق فصلاها في بني سالم بن عوف في المسجد الذي في بطن الوادي بمن كان معه من المسلمين، وهم مائة، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.

ثم توجه بعد الصلاة [على راحلته] للمدينة وأرخى زمامها، فتلقاه[252] جماعة من أهل دور الأنصار يُكلِّمونه في النزول عليهم، ويأخذون بخطام ناقته، ويقولون: يا رسول الله هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة.

فيقول: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة -يعني ناقته-.

فخلوا سبيلها فسارت[253] تنظر يمينا وشمالا إلى أن بركت بمحل باب المسجد وهو ﷺ عليها لم ينزل، ووثبت ثم سارت ومشت غير بعيد ورسولُ الله ﷺ

---

(251) كذا ما بين [ ] زيادة من ب، وفي س: قيل في ثامنه.

(252) في س: فتلقاها.

واضع لها زمامها لا يثنيها به، إلى أن بركت بباب أبي أيوب، ثم سارت ومشت والتفتت خلفها ثم رجعت إلى مبركها أول مرّة وبركت فيه.

ثم تحلحلت وألقت عنقها بالأرض وصوّتت من غير أن تفتح فاها، فنزل عنها رسول الله ﷺ وقال: هذا المنزل إن شاء الله تعالى، واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد[254] الأنصاري رحله وأدخله بيته، ونزل عليه ﷺ لكونه من أخوال عبد المطلب.

وأراده قومٌ في النزول عليهم؛ فقال: المرءُ مع رَحْلِه.

فأقام ﷺ عنده سبعة أشهر حتى بنى مسجدَه ومساكنه، واشترى محل مسجده وهو يومئذ مربد[255] بعشرة دنانير أدّاها عنه أبو بكر رضي الله عنه من ماله. ثم بناه وسقَّفه بالجريد، وجعل عمده خشب النخل.

وكان ﷺ ينقل اللَّبِن معهم في بنائه، وجعل قِبْلته لبيت المقدس إلى أن حُوّلت في السنة الثانية كما سيأتي.

---

(253) في ب: فصارت.

(254) في الأصل: يزيد، والتصويب من ب وس.

(255) في الأصل، وب: مدين. والتصويب من س. والمربد الموضع الذي يجفف فيه التمر.

وجعل طوله مائة ذراع وعرضه نحو ذلك.

وبنى مساكنه إلى جنبه باللبن، ثم تحول إليها من دار أبي أيوب.

وكان أول كلمة سمعت منه لما قدم المدينة الأمينة (أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلُوا الأرحام وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام).

وأشرقت المدينة بقدومه ﷺ وسرى السرور إلى القلوب بحلوله فيها.

قال أنس بن مالك لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء.

وعن أنس أيضا: شهدتُ يوم دخول النبي ﷺ المدينة فلم أر يوما أحسن منه، ولا أضوأ.

وعن البراء بن عازب قال: ما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحَهم برسول الله ﷺ وشرّف وكرم.

ثم أذن اللهُ له ﷺ في القتال بقوله عزّ من قائل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج، آية:39]، بعد أن نهاه عنه في نيف وسبعين آية.

فبعث ﷺ في شوال على رأس ثمانية أشهر من مَقْدمه البعوث والسرايا، واستمر على مجاهدة الأعداء وتبليغ الأحكام والأنباء بالمدينة الشريفة عشر سنين، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وأكمل الله له ولأمته دينهم، وأتم عليه وعليهم نعمته.

ففي السنة الأولى من الهجرة فرض الله الجهاد كما تقدم وبعث ﷺ حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيرًا لقريش في رمضان، وبعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا من المهاجرين إلى بطن رابغ، وبعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرَّار في ذي القعدة في عشرين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش.

وغزوة الأبواء وغزوة ودان في صفر.

وهذه السنة كان بدء الأذان عندما استشار النبي ﷺ أصحابه فيما يجمعهم به للصلوات، ورأى[256] عبدُ الله بن زيد بن عبد ربه في منامه الأذان.

وفيها أعرس بعائشة رضي الله عنها.

وفيها جعلت صلاة الحضر أربع ركعات وكانت ركعتين بعد مقدمه بشهر.

---

(256) في ب: وأرا.

وفيها صلى الجمعة كما تقدم وهي أول جمعة صلاها، وأول خطبة خطبها في الإسلام.

وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر.

وفيها صلى النبي ﷺ صلاة الجنازة على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر، وعلى تُبّع اليماني -وكان قد آمن بالنبي ﷺ قبل مبعثه بسبعمائة سنة- وهو أول من كسى البيت. **نقله ابن عبد البر**.

وكانت صلاته ﷺ عليهما يوم قدومه المدينة. قاله ابن العماد.

وفيها فرض الزكاة على النصاب الشرعي كما قاله ابن الجزري[257] في مولده.

وجزم ابن الأثير بأن زكاة المال فرضت في السنة التاسعة؛ وفيه نظر لأن بعث العمال لأجلها كان في التاسعة وهو يستدعي سبق فرضها.

والذي أشار إليه النووي في باب السير من "**الروضة**" أن فرضها يعني الزكاة في السنة الثانية قبل فرض رمضان.

---

(257) في س: قاله الجزري، وفيها إشارة إلى الهامش (خ ابن الجوزي).

وفي السنة الثانية من الهجرة في النصف من شعبان حُوِّلت القبلة من جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة، وفرض الصوم في أواخر شعبان.

وكانت غزوة بدر الكبرى في يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان.

وفي الثامن والعشرين منه فرضت زكاة الفطر.

وفيها صلى النبي ﷺ صلاة عيد الفطر، وصلاة عيد الأضحى، وضحّى بكبشين أملحين أقرنين، ذبح أحدَهما عن نفسه والآخر عن أمته.

وفيها أعرس عليٌّ بفاطمة ﵄.

وفيها غزوة بواط وذي العشيرة وبني قينقاع والسويق وغير ذلك.

وفي السنة الثالثة من الهجرة حرِّمت الخمر في شوال منها، وقيل في الرابعة.

وولد الحسن بن علي﵄.

وكانت غزوة أحد وحمراء الأسد وغطفان، وسرية كعب ابن الأشرف، وغير ذلك.

وفي السنة الرابعة من الهجرة غزوة بني النضير، وذات الرقاع وصلاة الخوف، وقيل في التي بعدها.

وفيها مولد الحُسَيْن بن علي ﷺ ونزول آية التيمم كما قاله في **"الروضة"**.

وفيها كان رجم اليهودييْن اللذيْن زَنَيا.

وفيها قصرت الصلاة في السفر؛ وفيه دليل على أنها كانت أولا أربعا، وفيه الخلاف المشهور. ووقع فيها غير ذلك.

وفي السنة الخامسة من الهجرة غزوة دُومة الجَندل، وغزوة المريسيع، وحديث الإفك على ما رجحه الحاكم وغيره، وقيل: في سنة ستّ.

قاله ابن إسحاق، وجزم به الطبري وغيره.

وقيل: سنة أربع قاله موسى بن عقبة.

وفيها نزلت آية الحجاب، وقيل في التي قبلها.

وفيها سابق بين الخيل.

وفيها غزوة الخندق وهي الأحزاب على ما قاله ابنُ إسحاق؛ وقال موسى بن عقبة: في سنة أربع.

وغزوة بني قريظة بعد الخندق على القولين.

وفيها غير ذلك.

وفي السنة السادسة من الهجرة كانت غزوة الحديبية وهي قريب من مكة مستهل القعدة منها، وكانوا ألفًا وأربعمائة وبايعوا النبي ﷺ بيعةَ الرضوان تحت الشجرة.

وفيها قَحَط الناس فاستسقى لهم رسولُ الله ﷺ فسُقُوا في رمضان.

وفيها غزوة بني لحيان[258] وغزوة الغابة وغير ذلك.

وفي السنة السابعة من الهجرة كانت عمرة القضاء مستهل القعدة منها أيضا، وكان ﷺ في ألفين وساق من المدينة ستين بدنة فنحرها، وأقام بمكة ثلاثا ورجعوا.

وفيها غزوة خيبر، وإسلام أبي هريرة، وبعثته[259] ﷺ الرسل إلى الملوك، واتخاذ الخاتم لختم الكتب، وتحريم الحُمُر الأهلية، والنهي عن متعة النساء، وفيها جاءته مارية القبطية [وبغلته دلدل، وهي أول بغلة ركبت في الإسلام][260] وفيها غير ذلك.

---

(258) في ب: سنان.

(259) في س: وبعثه.

(260) زيادة من س.

وفي السنة الثامنة من الهجرة كانت غزوة الفتح، فتح الله تعالى عليه مكة في رمضان منها لنقض قريش العهد، وطاف النبي ﷺ بالبيت يوم الجمعة لعشرين من رمضان وحوله ثلاثمائة وستون صنمًا، وكلما مرّ بصنم أشار إليه بقضيب قائلا: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[سورة الإسراء، آية:٨١]، فيقع الصنم لوجهه.

وفيها كان قدوم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص وإسلامهم.

وفيها غزوة حنين، وغزوة الطائف.

وفيها اتخاذ المنبر والخطبة عليه، وهو أول منبر عُمِل في الإسلام.

وكان ﷺ قبل ذلك يخطب على جذع في المسجد حتى عمل له المنبر ثلاث درجات، فلما خطب عليه حنّ ذلك الجذع وخار كالبقرة فنزل ﷺ واحتضنه حتى سكن، وقال: لو لم ألتزمه، لحنّ إلى يوم القيامة.

وقيل: اتخاذ المنبر كان في سنة تسع قاله ابن الجوزي[261] في **"مولده"**.

---

(261) في س: ابن الجزري، وفيها إشارة إلى الهامش: خ ابن الجوزي.

وفيها مولد إبراهيم ابن النبي ﷺ، ووفاة زينب بنتُه ﷺ، وفيها غير ذلك.

وفي السنة التاسعة من الهجرة كانت غزوة تبوك وهدم مسجد الضرار، وقدوم الوفود وتتابعها، وحج فيها أبو بكر الصديق بالناس ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة لينبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده، وأن لا يحج بعد العام مشركٌ ولا يطوف بالبيت عريان.

فلما نزل العرج[262]أدركه عليٌّ بن أبي طالب مبلغا لا أميرا، وكان حجُّهم ذلك العام في ذي القعدة.

وفيها مات النجاشي وأم كلثوم بنتُه ﷺ، وفيها غير ذلك.

وفي السنة العاشرة من الهجرة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام، فخرج النبي ﷺ من المدينة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر، ومعه أربعون ألفا، وقيل سبعون ألفا، وقيل مائة ألف، وقيل وأربعة عشر، وكانت وقفته الجمعة ونزل عليه فيها ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣﴾ [المائدة، الآية:3].

ولم يحج رسول الله ﷺ بعد الهجرة سواها.

---

(262) في ب: الحرج، والعرج عَقَبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج.

وقد حجّ قبل النبوة وبعدها حجّات لا يُعرف عددُها.

واعتمر بعد أن هاجر أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضية، وعمرة من الجعرانة في إثر وقعة حنين، وعمرة مع حجته.

ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر أربع عمر.

وقد اختلف في السنة التي فرض اللهُ عليه فيها الحج، فقيل في سنة خمس، وقيل في سنة ست، وقيل في سنة سبع، وقيل في سنة ثمان، وقيل في سنة تسع، وفيها يعني السنة العاشرة أسلم جريرُ بن عبد الله البجلي ونزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾[النصر، آية:1]، بمنًى يوم النحر في حجة الوادع، وقيل قبل وفاته بثلاثة أيام.

[ومات فيها إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم]، وأرسل صلى الله عليه وآله وسلم فيها عليّا إلى اليمن.

وفيها غير ذلك.

ولما رجع صلى الله عليه وآله وسلم من حجته إلى المدينة أقام بها بقية ذي الحجة تمام سنة عشر.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة فأقام بها أيضًا المحرم وصفر.

وفي يوم الأربعاء آخر صفر بدأ بالنبي ﷺ وجعُه فحُمّ[263] وصدع وأشار فيه إشارة ظاهرة بخلافة أبي بكر بثنائه عليه على المنبر لما فهم دون بقية الصحابة قولَه في خطبته (إنّ عبدًا خَيَّره اللهُ تعالى بين أن يؤتيه زهرة الدنيا، وبين ما عنده فاختار ما عنده) أنه ﷺ يعني نفسه فبكى وقال: فَدَيْنَاك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا، فقابله ﷺ بقوله: إن آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلا، ولكن أُخوّة الإسلام.

ثم قال: لا يبقى في المسجد خوخة إلا سُدّت إلا خوخة أبي بكر.

ثم أكد أمر الخلافة بأمره صريحا أن يصلي بالناس [فروجع وهو يقول: مُرُوه أن يصلي بالناس]، وأذن له نساؤه أن يمرَّض في بيت عائشة، لما رأين من حِرْصه على ذلك.

فدخل بيتها يوم الاثنين، وتوفاه اللهُ تعالى حين زاغت الشمس، وقيل حين اشتد الضحى يوم الاثنين كالوقت الذي دخل فيه إلى المدينة في هجرته ورأسُه الشريف بين سحر عائشة ونحرها، أي فيما بين حنكها وصدْرها.

وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة.

---

(263) كذا في النسخ، وفي هامش س: خ وجع حمى وصدع.

وكانت مدة مرضه ﷺ ثلاثة عشر يوما، وقيل أربعة عشر [يومًا]، وقيل: اثنى عشر، وقيل غير ذلك.

وتوفاه الله تعالى شهيدا لأنه لما سمّتْه اليهودية استمر ذلك به حتى قال في مرضه: الآن انقطع أبهري -يعني من ذلك السُمّ-.

واختلف في مدة عمره ﷺ فالصحيح المشهور [أنه] ثلاث وستون سنة.

وقد كان ﷺ أكمل الناس خَلقا وأحسنهم خُلُقا، وكان أجود الناس وأحلم الناس، أيّده اللهُ تعالى بالمعجزات الباهرة وأكرمه بالآيات الظاهرة، وخصه بالشفاعة العظمى في الدار الآخرة، وبأنه أول من يُفتح له باب الجنة فيدخلها هو وأمّته وينعمون فيها بتلك النعم الفاخرة.

صلى الله عليه وعلى آله وعِتْرَتِه الطاهرة وصحابته النجوم الزاهرة، وجعلنا ممن عادت عليه بركةُ خدمة حديثه الشريف ومحبته، وفاضت عليه بسبب ذلك في الدنيا والآخرة الإمدادات الزاخرة آمين، [والحمد لله رب العالمين][264].

قال شيخُنا المؤلف رحمه الله ونفعنا ببركاته: ووافق الفراغ من تبييض هذه النسخة من هذا المولد [الشريف] المنيف في يوم السبت المبارك رابع عشري صفر الخير

(264) هنا انتهت نسخة ب، وما بين [ ] زيادة منها.

من شهور سنة ثمانين وتسعمائة أحسن الله تقضيها وبارك في أيامها ولياليها وأنالنا الخيرات فيها وفيما يليها آمين.

ولله الحمد على ذلك ونسأله سلوك أحسن المسالك، ونصلي ونسلم على أشرف المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ونفِّوض أمورنا للملك المالك.

على يد جامعه(265) العبد الفقير المقصِّر المستغفر الراجي عناية مولاه الغني المُعطي محمد نجم الدين(266) بن أحمد الغيطي الشافعي خادم الحديث الشريف النبوي حامدا مصليا مسلما مفوضا أموره لله(267) سبحانه وتعالى ومسلما محتسبا محوقلا.

وكان(268) الفراغ من هذه النسخة المباركة المنقولة من نسخة نقلت من خط مولانا الشيخ العمدة سليمان ابن سيدنا ومولانا المرحوم الشيخ محيي الدين

---

(265) في س: وقال مؤلفُه شيخ السنة العبد الفقير..

(266) في س: بن نجم الدين.

(267) في س: لربه.

(268) في س: وافق الفراغ من تبييض هذه النسخة من هذا **المولد الشريف المنيف**، في يوم السبت المبارك عشر صفر الخير من شهور سنة ثمانين وتسعمائة أحسن الله تقضيها وبارك الله في أيامها ولياليها وأنالنا الخيرات فيها وفيما يليها آمين، والحمد لله على ذلك، ونسأله أحسن المسالك ونصلي ونسلم على أشرف المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ونفوض أمورنا للملك المالك تمت.

الذاكر تلميذ المؤلف يوم الثلاثاء المبارك سادس عشرين شهر محرم سنة ثلاث بعد الألف على يد كاتبه محمد بن سلام ابن علي البلكوي[269] غفر الله له ولقارئها ولوالديهم ولجميع المسلمين آمين آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ويليه كتاب الابتهاج[270].

(269) تحتمل البلكوسي.

(270) وهو كتاب "الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج".

الإيداع القانوني: 5851-2014

ردمك: ISBN 978-9931-561-01-9